

مروءة كريدية

استر انتبهات الأمل

في عصر العنف

مقالات حول عنف السياسة والمادة



للدراسات والنشر والتوزيع



2011

اسْتِرَاهِيَّاتُ الْأَمْل
فِي عَصْرِ الْعَقْف

مروءة كريدية

استراتيجيات الأمل في عصر العنف

مقالات حول عنف السياسة والمادة



للدراسات والنشر والتوزيع

2011

- الكتاب: استراتيجيات الأمل في عصر العنف
- المؤلف: مروة كريديه

Marwa Kreidieh

<http://marwa-kreidieh.maktoobblog.com>
E-mail: Marwa_kreidieh@yahoo.fr

- الطبعة الأولى: 2011
- عدد النسخ: 1000 نسخة
- الترقيم الدولي: 9789933433154

- الناشر:



سورية - دمشق صن. ب : 2322
هاتف 963 11 5630559 - فاكس 5626576
(+ 963) 944 624 693 جوال
البريد الإلكتروني : safi_nayaa@hotmail.com

جميع الحقوق محفوظة

اهداء

إِلَى كُلِّ مَنْ آمَنَ...
أَنْ رُجُوعَ الْكَائِنِ الْإِنْسَانِيُّ إِلَى نَفْسِهِ
لَيْسَ إِلَّا رَجُوعًا إِلَى مَعَالِمِ رُوْحِهِ الْمُطْلَقَةِ...

وَأَنَّ التَّسَامُحَ فِي حَقِيقَتِهِ...
هُوَ مَنْظُومَةُ التَّكَامُلِ الْإِنْسَانِيُّ
فِي دُرُوبِ الْحَيَاةِ الْحَرَّةِ...
وَهُوَ السَّبِيلُ لِتَحْقِيقِ النَّظَامِ الْكُوْنِيِّ...

وَأَنَّ الْلَاعْنَفَ...
لَيْسَ إِلَّا تَحْقِيقًا لِسَلَامِ الْذَّاتِ مَعَ ذَاتِهَا...



كلمة

تقف الإنسانية اليوم على حافة تسؤال كبير تطرحه الأوضاع الإنسانية المتأزمة، لا سيما وأنّ "الأنّا" الفردية و"الجمعية" المنفعلة و"المادة" قد أحكمت قبضتها على حاضر بني البشر، وقد أدى اختلال التوازن المتعاظم بين الروح بوصفها صبغةً كونيةً "إلهية" والمادة بوصفها "مردوداً" إلى نشوء علاقات "مصلحة" آنية قائمة على التعامل الآلي مع الإنسان المختزل بالواقع المادي المنبني على المنفعة المباشرة وربط قيمته بمَردوه النفعي، الأمر الذي حَوَّل عالمنا إلى "مملكة إرهاب" تتحكم فيها فعل المادة المنفعلة برغباتها.

وبرغم كلّ الجراح والسلبيات، إلا أنّ ثمة رؤية نور تعكس إيجابية الوعي في مملكة الإنسانية، لترقى بالإنسان عن عنف الإرهاب المسيطر، إلى أفقٍ كونيٍّ مُغايرٍ يُحقق للإنسان إنسانيّته، ويعيد للروح رونقها عبر تحقيق الأنسنة الكامنة والكاملة في كل إنسان.

ويضم هذا الكتاب مجموعة أفكار مبعثرة دُوّتْتْ على شكل مقالات مُتّناشرة، حاولت من خلالها أن أوصل للقارئ العادي "الغير نُخبوّي" أعقد الأفكار بأسط العبارات، وقد جُمعَت بين دفتَيْ هذا الكتاب دون صياغةٍ جديدة تتلاءم مع منهج البحث العلمي، مما قد يُوحي للقارئ بالتكرار والتشابه، كما أنه لا يخلو من المتناقضات "الشكلية" والاستشهاد بأقوال مفكرين وفلاسفة قد "خالفتهم" أو "نوافقهم" فيما أنتجوه. بيد أنني أفتتصح الحكمة وان كانت في بئر عكر.

ويشتمل الكتاب على نقدٍ للأوضاع الاجتماعية والأنظمة السياسية، نقد لا يستهدف الإساءة لجهة يعينها ولا يسعى إلى رصد حالة دون سواها، بل يهدف إلى توضيح صورة واقعٍ أقل ما يقال فيه أنه منتج للعنف وموّلد للإرهاب، فانتقاد السلطة ليس إلا انتقاد للذات بحسبٍ كبير لكي تُمَاط الحجب عن عيونها، لأننا لو أردنا بُنيان حكمٍ بلا عيبٍ لتوّجّب علينا أن تكون حجراً خالياً من العيوب، فالسلام على الأرض لا يتحقق بعنف النفوس، فكل الكائنات ليست إلا درجات متحركة في سلّم الكون اللامتناهي. إنَّ انتقاد العنف وديومة ماضيه الأليم، وفتح الأفق من خلال طرح رؤيةٍ لاعنفية تستند إلى أصالة التسامي اللامحدود

لوعي الإنسان، قد لا يوقف العنف ولكنها مساعٍ لانتضب لإماتة اللثام عن الإبداع والمحبة الكامن فينا أصلاً.

فما يقوم به دعوة اللاعنف قد لا ينهي الحروب ولكن قد يحuff وقودها عبر إطلاق الوعي لدى الإنسان المتحكم بصناعة الدمار، وهذه الأطروحات مثلها كمثل ماسحة زجاج السيارة لا توقف المطر ولكنها تجعل رؤية السائق واضحة.

ولا أدعّي في هذا الكتاب خلقاً جديداً أو فلسفة عظيمة، بل هو مجرّد إشارة إلى أقوال من سبقونا من المستنيرين ممن شقوا ثغرة نور في جدار العنف، أفتحها لمُحبّها ممن أراد أن يتجاوز الواقع نحو أفق آخر مغاير ينعتق به من أسر السلطة وعنف الملاة وصخب الإعلام الدعائي المضلّ.

وإنني على يقينٍ أنّ الأرواح تتعارف وترتّلّف عبر الوعي والتجارب وتنتلاقى، وأنّ أيّ حوار مهما كان عفوياً، وقراءة أيّ معلومة مهما كانت بسيطة وعابرةٍ، تُشكّل جزءاً من تجربتنا كبشر وإنّا ناجنا الوعي منه وغير الوعي، لأنّ أفكارنا على حقيقتها ليست إلا إعادة إنتاج لصوغ أفكار كل السابقين وحصيلة تراكم خبرات الآخرين. وأنّه "لا وجود لِمَا يتوّلّد من ذاته بل من تواجد أصوات متتابعة ومتراكمة" على حد قول ميشال فوكو.

"فلا الأفكار التي في رؤوسكم أفكاركم وحدكم إن هي إلا قطرات من بحر الفكر العالمي. فلكل ذي فكر شركة في ما تفكرون"¹

إنها محاولة، قد تصيب وقد تخيب، لشقّ ضباب الأحداث وظلمة الفكر وعمى القلوب، بحثاً عن صمت الضمير الأسمى حيث الكلمة الصادقة النابعة من معين الفهم الذي يُعرفنا إلى أي حد ترتبط به حقيقة وجودنا بحقيقة كل الوجود، فينعتق الإنسان في رحاب حيث لا حدود فيها ولا قيود، فتستريح آذاننا من صخب العنف الذي لا يهدأ إلى فضاء مشرق.

نعم؛ كتاب لا يخلو من لغو الكلام وكثرة و لوراجعت قراءته لحذفت جلّه و أبقيت منه بعض كلمات، فمن ألف كلمة فيه قد تكون واحدة لا أكثر جديرة بأن تُكتب تلك التي تحمل على أجنحة من المحبة وأما ما تبقى منه فهو ورق وحبر مهدور.

المؤلفة



1 ميخائيل نعيمة، كتاب مرداد منارة وميناء، ط 9، دار نوفل، بيروت، لبنان 2001، ص 77.

شَكْرُ وَعَرْفَانٌ

أَقْفُ بِخُشُوعِ قَلْبٍ مُمْتَنٌ بِالشَّكْرِ الْعَيْقِ، لِمُسْتَنِيرِينَ كُثُرٌ مِمَّنْ كَانَ
لِتَرْجَمَاتِهِمْ وَكِتَابَاتِهِمْ عَمِيقُ الْأَثْرُ فِي نَمَاءِ مَعْرِفَتِي...
إِلَى الْمَعْلُومِ الْمُخْلصِ دِيَتِرِي أَفِيرِينُوسِ... الَّذِي أُدِينَ لَهُ بِالكَثِيرِ، وَمَا فَتَى

يَمْدُدُ الْمَكْتَبَةَ بِعُمَيقِ التَّرْجَمَاتِ الْفَكِيرِيَّةِ، وَيَعْمَلُ بِصَمَتٍ عَلَى التَّدْقِيقِ
وَالْتَّحْقِيقِ وَكِتَابَةِ الْمُؤْلِفَاتِ الْلَّاعِنَفِيَّةِ، وَإِظْهَارِ أَنَّ الْحِكْمَةَ الْإِنْسَانِيَّةُ الْخَالِدَةُ هِيَ
ذَاكُ الْمُورُوثُ الرُّوْحِيُّ الْإِنْسَانِيُّ الْمُشْتَرِكُ بَيْنَ حَقِيقَةِ كُلِّ الْأَدِيَانِ وَالْفَلْسَفَاتِ
الْقَدِيَّةِ الْمُتَجَسِّدَةِ فِي تَعَالِيمِ الْحُكْمَاءِ فِي جَمِيعِ الْحَضَارَاتِ عَلَى مَرْبِّ الْعَصُورِ...
إِلَى الْأَسْتَاذِ نَدْرَةِ الْيَازِجِيِّ... الَّذِي يُعْدُ مِنْ أَوَّلَيْنِ فَتْحِ أَفْقِ
الْلَّاعِنَفِ فِي الْمَكْتَبَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَبْرِ إِصْدَارَاتِهِ الْقِيمَةِ.....

إِلَى مُحَمَّدِ عَلَيِّ عَبْدِ الْجَلِيلِ الَّذِي تَرَجَمَ عَنِ الْفَرْنَسِيَّةِ أَعْمَالَ
الْفَلِيْسُوفِ وَمَؤْسِسَ "حَرْكَةِ مِنْ أَجْلِ خِيَارِ لَاعِنَفِيِّ" جَانِ مَارِيِّ مُولُرِّ
الَّذِي يُعْدُ مَرْجِعًا عَالَمِيًّا فِي نَشَرِ ثَقَافَةِ الْلَّاعِنَفِ...
إِلَى هَفَلِ يُوسُفِ الَّذِي قَدَّمَ لَنَا عَبْرِ تَرْجِمَاتِهِ عَنِ الْرُّوْسِيَّةِ خَتَارَاتٍ

مُمِيَّزَةٍ مِنْ فَكْرِ وَفَلْسَفَةِ الْمُفَكِّرِ لِيفِ تُولْسْتُوِيِّ...
[11]

إلى الأستاذ أكرم إنطاكى الذى ترجم كتابات وأقوال المهاقا غاندى،
وهو المؤمن دوماً أنّ فاعلية اللاعنف لا تكتمل إلا عبر فعل إنساني
وانفتاح عقلي... .

إلى كلٍّ من شارك وسَاهَمَ في حواراتٍ لا تُنسى خلال وَرَشَةِ عمل
"اللاعنف وَضَبطِ النَّفْسِ" في مَرْمَرِيتا... .

إلى من عَلَمَنِي درسَ اللاعنف بِشَكْلٍ عَمَلِي... .

إلى طفلي وَفِيق... الذي طَالَمَا قاومَ رَغْبَتِي "الْتَّسْلَطِيَّةِ" بِبِرَاعَةٍ
طَفُولِيَّةٍ وَرَفَضَ الْخُضُوعَ لِإِرَادَتِي "الْغَاشِمَةِ"، مِمَّا شَفَانِي مِنْ غَبَاءِ الاعْتِقَادِ
أَنِّي "مَرْبَيَّةٌ فَاضِلَّةٌ"، وَاحْتَبَرْتُ بِإِيمَانٍ مَقْوِلَةَ جَبَرَانَ: "إِنَّ أَوْلَادَكُمْ لَيَسُوا
لَكُمْ... إِنَّهُمْ أَبْنَاءُ الْحَيَاةِ" .

إلى سِيرِ... الذي رَأَفَقَنِي وَاحْتَرَمَ خَيَارَاتِي الْفَكَرِيَّةِ، مَؤَكِّدًا عَلَى
"أَنَّ اخْتِلَافَ الرَّأِيِّ لَا يُفْسِدُ لِلْوَدْقَضِيَّةِ"، وَأَنَّا كَعُمُودٍ مَعْبُدٍ نَقْفَ
مَنْفَصِلِينَ لِنَرْفَعَ بَنَاءً وَاحِدًا... .



مروة كريديية

دبي، صيف 2010

مَسَأَةُ الْعُنْفِ



بَيْنَ عَنْفِ الْخَطَابِ وَإِكْرَاهَاتِ الْوَاقِعِ



العنف الرمزي و الهيمنة

إن كان العنف هو تلك المقدرة على نعت الآخرين به،
فإن أفضل طريق للحد منه ربما يكون في التزام الصمت.
إن مسألة العنف وتعريفه وطرح مقاربته مسألة مفتوحة،
تختلف بإختلاف الإرث الثقافي والاجتماعي واللغوي
والأنثربولوجي¹ للشعوب.

1 الأنثربولوجيا Anthropology: علم الأناسة، مشتقة من اليونانية ἀνθρώπος anthrōpos، "الإنسان"، و λόγια logia أي علم، وكان أول استخدام لهذا المصطلح عام 1593، ويقصد به دراسة البشر، في كل مكان وطوال الوقت، والأنثربولوجيا لها جذورها الفكرية في كل من العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية.

فتعريف العنف يرتبط أولاً وقبل كل شيء، بإدراكات وتجارب جماعية وفردية، وبأفعال و ردود أفعال تتبادر في المواقف حولها بتبادر الاستراتيجيات والواقع، مما يفتح الباب أمام كل الاحتمالات، بما فيها حرب التعاريفات.

وثانيةً، أن كل حديث عن العنف يحمل في طياته اتهامات تجاه الطرف الموصوف بالعنف كما يحمل حكماً على هذا الآخر بوصفه عنيفاً من خلال إتهامه وتجريمه وإطلاق الأحكام عليه.

إن تعريف العنف بوصفه خطاباً ومصطلحاً يصبح سلاحاً يُبرئ المتكلّم المُنْتَج للتعريف من جهة، ويَتّهم بل ويعجز المُتَحدّث عنه أو إليه من جهة أخرى.

وإذا ما ألقينا نظرة على تاريخ الشعوب نجد أن علماء الأنتربيولوجيا أطلقوا مصطلحات يمكن أن نصفها "بالعنصرية" تجاه شعوب ما قبل الثورة الصناعية، حيث سموها شعوباً "بدائية"، وهذا التصنيف والتعريف يحمل في طياته عنفاً رمزيًّا ومقنعاً، فالغزوة عبر التاريخ منحوا أنفسهم حق تصنيف الشعوب الأخرى التي غزوها وفق مصالحهم ووفق منظومتهم الفكرية والثقافية، فأطلق في كثير من الأحيان مصطلح "العنف" على بعض الطقوس والممارسات الثقافية للشعوب الأخرى التي كانت تُعدّ أعمالها هذه

جزءاً من تراثها، كما وصفت ردود أفعال تلك الشعوب تجاه حضارة الواحد الجديد بالعنيفة، علمًا ان تلك الشعوب كانت تُحاول ان "تدافع عن نفسها" ووجودها وفق "معتقداتها" ليس إلا.

إذن، فالسيطر السياسي والعسكري يفرض عنفاً مزدوجاً مباشراً وغير مباشر؛ العنف المباشر من خلال اقتحامه أراضي تلك الشعوب، وعنف الخطاب من خلال تصنيفه وفرض خطابه عليها، فالعنف يتحدد في وضعية اجتماعية- ثقافية وسياسية معينة، يستخدم فيها "الأقوى" الضغط ومجموع الوسائل الأخرى من عنف الخطاب.

الأمر الذي يجعلنا نشكك في تعريفات العنف لأن أي تعريف يقدم للعنف لابد و أن يتضمن حيفاً وظلماً وشيئاً من الفوقية والعنصرية، حيث سيكون فيه رابح وخاسر، هذا عدا الخلفيات التي تقف خلفه. كما أن كل اتفاق يقدم باعتباره اتفاقاً من أجل السُّلم الاجتماعي، يمكن لطرف آخر أن ينظر إليه من منظور العنف، فيجد فيه العنف قابعاً في قلب العملية السلمية، وما فلسطين والعراق عنا ببعيد.

ولتقرير الصورة على أرض الواقع بوصفنا شعوبًا "عربية" قابعة في منطقة جغرافية ساخنة؛ نجد اننا نتعرض لاستخدام وسائل ضغط متنوعة وشديدة من قبل المتفوّق

ال العسكري بحيث ت عدم إمكانية الاختيار، بل و ت عدم حتى إمكانيتها في الهروب أو في الانعتاق، أو في رفض الوضعية التي تفرض عليها كدول؛ إن هذا العنف يبلغ درجته القصوى عندما لا ي عدم فقط إمكانية الإنسان في الرد، و لكنه ي عدم الإنسان نفسه. ومن حقنا كبشر أسواء كاملي الحقوق الإنسانية إذن أن نتساءل عن وسائل الضغط التي تمارسها إدارات الدول الخمس في مجلس الأمن عندما تمنح نفسها حق فرض خياراتها على الشعوب الضعيفة، وأغرب ما في الأمر أن أحدا لا يعترض على مبدأ ينافق العدالة وهو "حق النقض الفيتو"!

وقد عرض المفكر جودت سعيد لذلك في أكثر من لقاء حيث قال "وحتى في الأمم المتحدة، حيث يكثر الحديث والمجحجة والكلام عن العدالة والمساواة، فإنه عند التطبيق يكون الحكم عشائرياً، وما حق النقض (الفيتو) إلا حق عشائري، إنَّه حق القوي وليس حق العدل أو الإنسان، إذ لا يمكن أن يتلاقى حق النقض (الفيتو) مع حق الإنسان، ولو كانت حقوق الإنسان مرجعاً لأنَّه حق النقض (الفيتو).

ينبغي أن يتحول هذا الموضوع إلى علم قابل للدراسة والتحليل، لمعرفة آلياته وكيفية تكوُّنه وصناعته، وما لم تنتشر

هذه الثقافة على أساس إمكان تحويل الناس إلى هذه العملية التغييرية، فإن عدم الوضوح وترسخ فكرة العشيرة الموغلة في القدم، سيبقينا في صراعات لا نهاية لها.¹

إذن، نجد أن تعريف العنف في هذه الحالة قائم على تحديد آليات إنتاج مختلف أشكال الضغوط والوسائل التي يصل الإنسان بها إلى إباحة القتل بمحجة فرض "الديموقراطية" في العراق، او "الأمن الوقائي" في فلسطين أو "مكافحة الإرهاب" في أفغانستان....

ويمكن أن نقارن، على هذا المستوى، حالة العنف بحالة اللاعنف، أي بتلك الوضعية التي يكون فيها الإنسان متحررًا من الإكراهات و من وسائل الضغط والإجبار بحيث يكون المجال هو مجال الإقناع والتفاوض أو أي شيء من هذا القبيل. وهكذا، عوض أن يتحدث الناس عن العنف، يتحدثون عن حالة سلم أو سكينة أو سلام.

إن شعوب الأرض بما فيهم من تنوع أديان وشراائح مجتمعية من نخب ومتقين يتعرضون لضغط عنف الخطاب من

1 جودت سعيد، كن كإبن آدم، دار الفكر المعاصر، دمشق، سورية، 1997، الفصل السابع، الأمم المتحدة والمشائيرية.

قبل "الدول النافذة"، مما يحدّ من الحرية، ومن حرية النظر في الواقع المعاش؛ والعنف في هذه النظريات يعني سجن الإنسان من طرف الخطاب السائد في رؤية واحدة وصورة واحدة فقط لا غير؛ وإنتاج الخطاب السائد لنظريات واعتقادات ترفع أسوار الصمت حول نظريات أخرى مُمكّنة، وتصورات مغايرة لنفس الواقع.

إن العنف الرمزي والهيمنة الرمزية لا ترتكز أساساً على الخطاب السائد في مجال المعرفة والمؤسسات العقابية السجنية والممارسات العملية باسم القانون وحسب، بل بالضغوط اليومية المُمارسة على الشعوب وتتدخلها المباشر حتى في الممارسات اليومية والمناهج التعليمية والعادات السائدة التي تكون الإنسان من خلال التربية و"التدجين" و"التطويع"، خاصة تربية الجسد ومتطلباته.

ويبقى عنف الخطاب والعنف الرمزي قابليْن لأن يُحدّداً وأن تدرس فاعليتهما في مجالات عدّة، فحينما تكون هناك شرائح اجتماعية تسعى إلى العيش حسب معايير مغايرة للّمُعتقد السائد او للمنظوم التجمعي المسيطر فإنه يتم إقصاؤها أو القضاء عليها بالقوّة، أو بنوع آخر من النفوذ كالدعاهية والتخويف التي

لا تقل عنفًا عن سبقتها، وخاصة النفوذ المنظم من طرف مجموعات أو شبكات أو تنظيمات أو حتى دول. إن مشكلة العنف مشكلة شائكة. وأن حضور العنف قائم، وأن القضاء عليه أشبه ما يكون بالمستحيل.

وربما من الأحسن والأجدى أن نُفكِّر في الحدّ منه بالبلاء بالاعتراف بأنه يسكننا ويطبع تركيباتنا التجمعيّة والثقافية بطابعه السلبي، و بالتالي لابدّ من التعامل معه على هذا الأساس، رغم أن هناك تصورات فلسفية أخرى معروفة ذهبت إلى القول بإمكانية "السلم الدائم"، علمًا أنه لابد من الحذر في التعامل مع كل من أطروحة السلم الدائم حسب ما تدعيه الليبرالية، وأطروحة "العدل التام" تحت ظل المساواة التامة. فمع هاتين الأطروحتين يتم إدخال المطلقات في السياسة؛ أيضًا ما تسميهاليوم بعض التيارات "بالنظام الديني" لأنه يدخل، هو أيضًا، مطلقات دينية في صميم الممارسات السياسية، وهذا خطير على المجتمعات إذ أنه يفتح باب تفشي العنف بدل الحد منه، ويسد باب الرفق والتمرن والتمرين على الحوار والاتفاق في ظل السلم النسبي، والقدرة على تنظيم العيش في أفق الحياة.



تاریخُ من نارٍ و فِصامٍ حضاريٍ!

” علينا أن نبدل بنیان مجتمعنا، مظاله، مناقبیته الفظیعه، التقسيمات التي اصطنعها بين الإنسان والإنسان، الحروب، الافتقار التام الى الموهبة والحبة الذي يدمر العالم ”

كريشنانمورتي¹

¹ جدو كريشنانمورتي، التأمل، ترجمة وتقديم: دیتی افیرینوس، معابر للنشر، دمشق، 2008، ص 39.

خلال تطور البشرية في مسيرتها، عملت الأيديولوجيات الحزبية ومؤسسات "الدين" والمرجعيات "الروحية"¹ على تطبيق رقاب الأفراد والجماعات وجعلت الشعوب عرضة للاستكانة إلى يقينيات وأفكار أدت إلى انقسامات حادة، تحوّلت بِمُوجَبِها الأرض إلى تَجمُّعات تقطّنها كائنات عدائية، تُمارس الفوقيّة تجاه بعضها البعض وتستخدم العنف وتسوغه، بل وتجعله أولوية وسبباً لاستمرار وجودها وحّقاً مقدّساً دائمًا من حقوقها المشروعة. والعنف بكل أنواعه ومستوياته، يكتنز طاقة سلبية مدمرة، ورغبة عارمة بالانتقام من خلال العمل على تطويق الآخر وتأدبيه وإذلاله وإدخاله في دائرة الخضوع والإذعان؛ هذه الطاقة ترتد بعنفٍ "مضاد" وطاقة سلبية مرتبطة، قد تتدخل فيها عوامل أخرى محيطة بها تجعلها أكثر أو أقل تدميراً.

هذه التفاعلات تدخل البشرية في دوامة عنف حقيقة تعمل "السياسات الدولية واستراتيجيتها" على التخفيف من حدتها في

1 عندما ننتقد المرجعيات "الروحية" واضعينها بين مزدوجين فإننا نقصد بها التجمعات المذهبية المنصرية التي تدعي امتلاك الحقيقة المطلقة مسوغة استعمال اللاهوت في ممارسة العنف ضد الآخر، في حين أن الإرث الروحي الإنساني الكوني للأديان يسمو عن التموضعات العنصرية و يجعل من الإنسان آدمياً يحقق كامل إنسانيته، ويرقى به عن العنف ليكون في تمام الخبرة والعدل والسلام، لذلك فإن الغاية السامية تكمن في عودة الروح الإنسانية إلى منبعها الأصلي الأصيل.

مكان أو إزكائها من مكان آخر، وفق ما تقتضيه مصالح الدول التي تحركها دورة رأس المال والاقتصاد، حيث إن السلطة والمال متلازمان، ومارسة السلطة تقتضي استخدام العنف، وبين ثالوث السلطة والمال والعنف **تُطْحَن الشُّعُوب ويُسْتَعْدِدُ الإِنْسَانُ**.

الإِنْسَانُ مَحْوَرُ التَّغْيِيرِ

فهل هناك من يتحمل مسؤولية هذا العنف دون سواه؟؟؟ وهل هذا الاستبداد سببه حضارة بعينها دون سواها؟؟ أو سببه شعب معين؟؟؟ أو سياسات إقليمية ومحاور دولية؟؟ بداية يجب أن نقبل ونقرّ أننا ككائنات بشرية مازلنا نُمارس العنف ونعتمد أساليب عاجزة عن حلّ صراعاتنا المزعومة، وأنّ الأوضاع المتفاقمة تضعنا أمام خيار جديد مغایر للقبول المتعارف عليه في حل النّزاعات؛ فهناك حاجة إنسانية حقيقة لإحداث نقلة "نوعية" نغادر بموجتها مستوى الواقع العنفي المستمر إلى مستوى إنساني.

إنّا نحتاج إلى تغيير جذري في البنّي التّنفسية المحرّكة للسلوك الإنساني، فالإِنْسَانُ هو محور التَّغْيِيرِ وَتَحْقِيقُ حرِّيَّتِه هي السُّبْلِيْلُ إلى السلام، وحرّيَّةُ الإِنْسَانِ التي أعنيها هي حرية عارية عن أي شروط

وإشارات، إنّها حرية تؤدي إلى انفلات الكائن من قيود يرثها
تحتها أبناء البشرية اليوم على اختلاف ألوانهم وألسنتهم.

كيف السبيل؟

الخطوة الأولى ربما تكون عبر "وعي" ما يدور حولنا،
وتحقيق الانتباه واليقظة إلى الشروط التي تتحكم بنا وتقودنا
إلى النزاعات والصراعات كلها، بلّغاً من الصراعات الشخصية
وصولاً إلى الحروب المدمرة، وذلك عبر جلاء "الرؤى"، التي
لا تتحصل ونحن نحمل في أذهاننا صوراً جاهزة مُعدّة سلفاً عن
الأشياء والأمور؛ وهنا يبرز دور "وسائل الإعلام" السلبي الحالي،
التي تعمل ليل نهار على "تكريس الصور النمطية الجاهزة"
عن الأشياء.

ان يقظة الوعي تعني مغادرة واقع الصورة المتخيلة في
الذهنية المقللة بـأحكام المسبقة إلى رؤى ماهو موجود فعلاً. إن
ذهبنا مثلاً بالأفكار المسبقة الجاهزة عصيّاً حتماً على الحرية.
فالحرّية هي حالة لا تقبل الشرك لأنّها عالم بلا صور
ولا ذاكرة، وصفائهما لا يتسع لثرة الفكر وتشویشه.



ذاكرة العنف بين السيرورة التاريخية والذات الحضارية

إن "رؤية" الصراعات الحالية يقودنا بسهولة إلى معرفة أن هناك رغبة عارمة عند الفرقاء المتنازعين نحو مزيد من "الأنوية الحضارية"، فهذا شيعي والأخر سني، وهذا مسيحي والأخر يهودي، وهذا كردي والأخر عربي، وهذا كاثوليكي والأخر أرثوذكسي والعلقانية التجمعية مثقلة بالأحكام الجاهزة المعنة

سلفاً لإدانة كل طرف للطرف الآخر، إن عقلية كهذه لا يمكن ان تكون سلمية على الاطلاق وأن اتخذت من الشعارات أنبلها! إننا كأفراد شاءت الأقدار ان نكون أبناء منطقة تُعد الأكثـر سخونة في العالم، بل وأكثرها استقطاباً للعنف وتوليداً له، نحتاج لأن نضع أيدينا على جراحنا النازفة بعيداً عن أيّة نماذج ترقيعية عبر حلول متكاملة تعبـر فيـنا من واقـع الـصراع إلـى واقـع إلـىـنـسان وـمـنـها:

• **اولاً: الخروج عن جلد الذّات المجتمعية والأنوية**

التّجـمـعـيـةـ وـالـمـقـارـنـةـ الـحـضـارـيـةـ:

فنحن لسنا خير أمةٍ أخرجت للناس ولسنا أسوأ أمة عرفتها البشرية، ولسنا شعبٌ مختارٌ كما اتنا لسنا شعوبًا "سائمة"، اتنا ببساطة "نحن على ما نحن عليه". إن المقارنة الدائمة بين الذوات والحضارات التي لم تهدف سوى لاثبات تفوق مجموعات بشرية على أخرى، أوقعتنا في "عقد دونية" مقيمة وانتيماءات وعصبيات، اتخذت من ردود الفعل العنفية سبيلاً لها للدفاع عن "ذات منجرحة" خائفة على هويتها وصيرورتها، المشحونة بالانفعالات الغريزية، التي تعكس

غطرسة البشر تجاه بعضهم البعض، وقسوتهم من أجل إرضاء تفوّقهم الذاتي، وغروّرهم بحجّة انّهم ابناء الله واحباؤه، وبحجّة انّهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر!

ان "العرب" على سبيل المثال لا الحصر اعتادوا بشكل دائم على مقارنة حضارتهم بحضارة الآخرين، الأمر الذي أوقعهم إما في "نرجسية مرضية قاتلة" أو في "عقلة دونية مميتة"، بحيث أدانوا أنفسهم بشكل مبالغ فيه، أو رفعوا من قدر أنفسهم لدرجة التأليه، وإليك المقالات اليومية مثلا ينهال اما "جلدًا للذات حضارية" او "دفاعا عنها"....اننا ككائنات إنسانية لا نحتاج لهنّه الدوامة أبداً، بل الأجلّى ان نصمت ونعمل بشكل بناء ونكون أكثر فعالية في اثراء الحضارة الإنسانية ككل.

● ثانياً: نقد الذات ومغادرة الذّاكرة:

إنّ عدم إدانة أنفسنا والتوقف عن جلدنا للذات، لا يعني ان لا ننتقد ذواتنا الحضارية؛ بل لا بد من تفكير نقيدي هادئ وعميق يُخلصنا من ذاكرتنا التاريخية المثقلة بالجرح؛ ان مغادرة الذّاكرة تُحدث يقظة في إنسانية الحضارة، وهي خروج عن مأثور الثقافة ومغادرة الماضي المستمر إلى غير رجعة.

• ثالثاً: التحرر من الفصام الحضاري :

ان غالبية شعوب المنطقة، بكل مذاهبهم واثنياتهم يدينون بآدیان توصف بأنّها "سماوية"، وهي التي كانت في معظم الأحيان مُحرّك الحروب والغزوات ووقودها! فهل يكمن المشكل في جوهر الاديان الداعية للمحبة وسلام الارواح؟؟ أم في الممارسات القائمة على محكمة الآخرين الخاضعة لشروط الذاكرة التاريخية الدامية؟؟

اننا نجد انفسنا أمام تعقيدات حقيقة ولا منطقية، غير أنّا نستطيع ان نستخلص أن حضارات وآدیان الأرض تعاني من "فصام حضاري" بالغ بين الدين كحقيقة والدين كجوهر، و"الدين" كمارسات وسياسات خاضعة للأحوال والأزمنة ولشروط الذاكرة الحضارية المثلثة بعدها الأمم تتجاه بعضها البعض.

فالحضارة لا يمكن أن توصف بأنّها إنسانية، مالم يكن الإنسان فيها حرّاً متسامياً خارجاً عن تورات وأزمات التناقض والصراعات، بحيث لا يكون نتاجاً رخيصاً لضلالات الأمراء والحكّام ورجال "الدين" ولتفاهات المتحاربين، وليس الباحث عن تفوق ذاتي أني... فهل هذا الطرح مجرد "كلام بكلام"؟؟

لا، إنه بكل بساطة خطوة نحو إنسان حرّ يتتمي لكون
يشع سلاماً! وان أول الحكمة أن نعي إنسانيتنا! ولا يُظنّ أحد انّ
بقاء الإنسان يكون بزوال سواه!
ولن تبقى أجسادنا وقود تاريخٍ من نار!



الحقيقة
وَتَجْلِيَاتُ الْعُنْفِ

事 实
感 慨

قراءة في مفهوم الحقيقة و هواجس السلطة



الحقيقة من منظور اللاعنف

"إنسان يصرُّ جهراً على "امتلاكه" الحقيقة إنسان خطير" ¹
جان ماري مولر

تأخذ السجالات الفكرية والسياسية طابعها الحادّ العنيف عند تقابل "المقدسات" خلال طرح القضايا المعاصرة، حيث يعمد كلّ فرد من موقعه على تقديم " المقدسه" ليواجه " المقدس" الآخر، وتأخذ "الحقيقة" عندها بعدها "لا هو تيّا"

1 جان ماري مولر: قاموس اللاعنف، ترجمة محمد علي عبد الجليل ومراجعة ديميتري أفييرينوس، معابر للنشر، دمشق 2007، ص 105

"انطولوجيا"¹، وتعلو أصوات "التكفير"، أو "التخوين"، أو "التنكر للأصل".

وعندما يستدلّ الفرد بنصوص توصف بـ"المقدّسة" سواء كانت قدسيتها "لاهوتية" مستمدّة من نصوص "الدين"، أو كانت "قدسيتها قانونية" مستمدّة من "نصوص دستورية"، أو كانت قدسيّة "اجتماعية" مستمدّة من "الأعراف والتقاليد" ... فإنه يُقدّم " مجرد آراءه" على أنها "مسلمات بدّيهية" لا تقبل النقد ولا حتى التحليل ناهيك عن النقض.

وعندما تتحول مفاهيم "الحقيقة" ، إلى مفاهيم انطولوجية يتحول التأويل معها إلى مفهوم إبستيمولوجي² . فالخطاب الديني

1 انتولوجيا انطولوجيا: ontology، مشتقة من اليونانية ὄντος : يعني الكينونة *λογία* اي علم او دراسة؛ والانتولوجيا هو علم الوجود، هو أحد الأفرع الأكثر أصالة وأهمية في الميافيزيقيا. يدرس هذا العلم الكينونة *being* او الوجود *existence* إضافة إلى أصناف الوجود الأساسية في محاولة لتحديد وإيجاد أي كيان أو كينونة *entities* وأي آثار لهذه الكينونات الموجودة في الحياة.

ملاحظة: يجب التمييز بين ontology و anthology؛ يلتبس المصطلحان المتغيرين عند الدارسين في اللغة العربية حيث يشتركان في اللفظ والكتابة، انطولوجيا (بضم الالف) ontology بالفلسفة تعني علم الوجود وأنطولوجية (بفتح الالف) anthology المشتقة من اليونانية ἀνθολογία هي طريقة لجمع المحتارات والمقطفات وتنظيمها في الأعمال الأدبية التي يتم جمعها عادة في مجلد واحد.

2 الإبستيمولوجيا Epistemology: مشتقة من اليونانية Επιστήμη اي المعرفة، *λόγος* اي علم؛ الإبستيمولوجيا: هو علم المعرفة او علم النقد او دراسة العلوم النقدية، فلسفة العلم، و تعتبر نظرية المعرفة أحد فروع الفلسفة الذي يدرس طبيعة ومنظور المعرفة.

المعاصر كما السياسيّ، مازال يتعثّرُ في محاولاته لتجاوز الإزدواجية المفاهيمية، من خلال الإيمان بحرفية الدلّالات، ونجد أنَّ الخطاب السائد إعلاميًّا، سواء في دور العبادة أم الفضائيّات، ينفي عن عالم "اللاهوتات" و"الشرعيات" خاصيّة الإزدواجية الدلاليّة، والأخطر من ذلك أنَّه يُمارس تأثيره على مستويات بنية الوعي كافَّة بما فيها الاجتماعي والحضاري.

ويصف جان ماري مولر¹ مدعى "امتلاك الحقيقة" بالخطر كونه "لا يتوانى عن الإغارة على الضلال وعن مطاردة الكافرين والزنادقة والمرتد़ين. فالإنسان الآخر الذي لا يفكر على شاكلته هو عدوه حتمًا: فهو ضالٌ وتجب هدايته؛ وإذا رفض الاقتناع، يجب إكراهه على ذلك. عندما تجمد الحقيقة في معرفة عقائدية dogmatique تصير عامل تفرقة ونزاع وإقصاء وعنف. فالإيديولوجي² العلماني والأصولي الديني يشنّان المعركة "التفتيشية" نفسها ضدَّ المنحرفين والضالين والمنشقين والخونة؛ فكلاهما لا يتورع عن اللجوء إلى العنف لإنّ حفظ الحقيقة. بما تصير الحقيقةُ لإنسانيةً وقاتلَةً: يقتلُ الإنسان باسم الحقيقة.

1 المرجع السابق نفسه ص 105 – 106.

2 الأيديولوجيا ideology: مشتقة من اليونانية *ἰδεα* اي الفكر و *λόγος* اي علم، وهو مصطلح عريض واسع الانتشار يعني العقيدة السياسيّة او المذهب الفكري.

إن الإيديولوجي والأصولي، في الواقع، هما اللذان يضلال وينحرفان. إذ أنّ حقيقة الإنسان لا يُكُونُها مذهبٌ عقائدي يصير سلاحاً لقتال الآخرين من البشر. إنّها، قبل كلّ شيءٍ، محلٌّ لبحث وتقدير لطلب.

تكمّن الحقيقة في حكمة عملية تتطلّب إعمال العقل والإرادة لبناء علاقّة مع البشر الآخرين، عبر النزاعات نفسها، على أساس الاحترام وحسن النوايا. ومثل هذه العلاقة تستبعد كلّ سوء نية وكلّ عنف. إن الإنسان، في طلبه للحقيقة، يصطدم بشكوك كثيرة. لكنه، حتى دون أن يعرف الحقيقة، يتعلم ما هو نقىض الحقيقة: عكس الحقيقة هو العنف الذي يبرّح بالإنسانية. وبهذا المعنى، يؤسس اللاعنفُ حقيقةَ الإنسان؛ وهذه الحقيقة، ما من أحد يجوز له أن يزعم "امتلاكها"، بل ليس لأحد سوى الاجتهاد للتّقرب منها.

ما إن تُتصوّرَ الحقيقةُ وتُدركَ كإيديولوجيا موجوّدة خارج الإنسان حتى تصير العلاقة التي يقيّمها الفرد مع الحقيقة كالعلاقة التي يعقدها مع غرضٍ تماماً. إذ ذاك يمتلكها كمن يحتفظ بشيءٍ في حوزته؛ يعُدُّ نفسه مالكَ الحقيقة، فيُنخدّد على عاتقه واجبَ الدفاع عنها كمن يدافع عن ملكٍ له. وهو لن يتورّع عن اللجوء إلى العنف، بل القتلُ إذا لزم الأمر، دفاعاً عن الحقيقة.

إذن فاللّاء يكمن في إدعاء العلّب الفكرية أنها هي الوحيدة على صواب وان الحقيقة ملك حصرى لها!

يقول نيكولسکو بسراب: "إن كل إيديولوجيا أو كل تعصّب يطمح إلى تغيير وجه العالم يتأسس في النهاية على الاعتقاد بتمام مُقتربه. إن الإيديولوجيات والتعصبات التي نحن بصددها على يقين من أنها تمتلك الحقيقة كلّ الحقيقة.."¹

في هذا السياق تقع الإدانة والإدانة المضادة "ويحتمل أن تؤدي هذه الإدانة إلى إنكار العقيدة، أو الموقف الفكري الذي لا يتوافق مع هيمنة العقيدة السائدة التي تدعي الحق بامتلاك الحقيقة المطلقة. وهكذا يصبح العالم حلبة صراع تُستبعد فيها الحقيقة، والمحبة، والحكمة والوعي ويسود فيها الجهل والكراهية والنفور"²

1 بسراب نيكولسکو، بيان العبرمناهجية، ترجمة ديتري أفيرينوس، سلسلة آفاق 2، مكتبة إيزيس، دمشق، سوريا، ط 2000، ص 62.

2 ندرة اليازجي، ثقافة الحوار والتسامح، مطبعة اليازجي، دمشق، سوريا، 2008، ص 24

التعديدية الدلالية والحوار التواصلي¹

إن فكرة "التجديد اللاهوتي" التي طرحتها محمد أركون² في معظم أبحاثه من الأهمية يمكن إن أردنا تقدّماً فعلاً على مستوى الفكر البشري عامّة، لتوحيد الفعالية المعرفية في المجال الحاسم عن آثار المعنى، أي افتتاح العقائد على مكتسبات علوم الإنسان والمجتمع مع التحضير لكي ندخل في حوارات خصبة حول عمليات اختزال الذات البشرية، وحلّها، ونفيها، وتدميرها...

إن عملية الخروج من دائرة العنف يفترض أن يتحمّل علماء الأديان النقادين، والفلسفه، والمفكرون، والذئاب مسؤولياتهم في البحث في مشكلات المضمون "المعنى" ليس داخل الموروث الحيّ الخاص بدينهم أو بطائفتهم وإنما في تراث

1 بالامكان العودة إلى بحث الكاتبة المعنون حوار المضارات بين العقلية الدوغمائية والعقلية التواصلية، بيروت، لبنان، 2002

2 محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، دار الساقى، بيروت 1999، ترجمة هاشم صالح، ص 260

جميع الأديان، حيث يتم تجاوز العقائد المغلقة "الدوغما" لكل الأطراف، بهدف تحقيق قواعد التواصل ما بين "الذوات الحرة"¹ والتدخل فيما بينها لاسيما وأن "الحكمة" هي الموروث الروحي المشترك لكافة الأديان والفلسفات والتي تجسدت عبر الأزمنة وما فتئت تبلور في تعاليم العرفة والحكماء عند كل الشعوب.

إن عودة الإنسان إلى روحه الحقة تجعله "أخًا" حقيقياً لكل الكائنات الإنسانية، بل وأبعد من ذلك تجعله متناغماً متواصلاً وجزءاً لا يتجزأ من مفردات الطبيعة والكون فال المشترك الروحي الحكيم بين "الذوات الحرة" هو أساس التوصل إلى فعل لاعني كونها العائق الأكبر للحرر من سجن "الأنوبيّة"، وهذه المشتركات الكونية تُطبق فيما وراء إكراهات أنظمة التصور والقيم الخاصة بكل نطاق جغرافي تاريخي موصوف باسم الحضارة.

إن اللاعنف هو تأكيد على إنسانية الإنسان والعمل على إعادة الروح إلى منبعها بعيداً عن كل إكراه، وإن بدأ أن العنف

1 إن الأخوة الإنسانية تفترض أن "الآخر" هو جزء من "الذات" وإن حرية الذات تعني الانعتاق من "الأنوبيّة" الأنانية.

"ضروريًا" لاستعادة "حق" فهذا لا يعني أنه "مشروع" فالضرورات الحقوقية لا تبيح المخظورات العنيفة ولا تُشرعن لها بحالٍ من الأحوال.¹

و"الصالح هو ذلك الذي لا يفصل ذاته عن جميع الذين يحبهم العالم أشراراً" ¹

1 جبران خليل جبران، رمل وزبد، الأعمال المعرفية الكاملة، دار مؤسسة رسلان، جرمانا، سوريا، طبعة عام 2008، ص 132.



المفاعيل اللاعنفية لتعديدية الحقيقة ونسبة المعاير¹

”أعتقد بوجود حقيقة، لكنني لا أعتقد بأنني سأكون على
ـ يقين منها أبداً ”

ديفيد مكرينولدن²

”أنا لا أعرف الحقيقة المجردة، ولكنني أرکع متضعاً أمام
ـ جهلي، وفي هذا فخرني وأجري ”

جبران خليل جبران³

1ـ هذا البحث كانت قد تناولته من بعض جوانبه في كتاب فكر على ورق، الصادر 2009 عن دار الدوسرى في البحرين، ص 50.

2ـ ديفيد مكرينولدن، فلسفة اللاعنف، ترجمة: ديميتري أفييرينوس، معابر للنشر والتوزيع، دمشق، 2009، ص 11.

3ـ جبران خليل جبران، رمل وزبد، مرجع سابق، ص 117.

يقف الفرد مُنَاهَيَاً اليوم أمام واقعٍ كونيٌّ مُتسارعٍ ومنفلتٍ في آن، وسط تشابك وتعقيد بالغين، من حيث سيرورته وصيروته، فينظر بعين تعددية الأبعاد، فيجد تحدياتٍ لا تُجابه إلا بالعمل وفق معايير متعددة، وأنظمة منفتحة متحركة ومتعددة التركيب، فلا بأس وفق هذا التصور من التعدد ولا خوف من الالتباس والازدواجية، وهذه الأطروحة تتبلور من خلال:

تنوع الحقائق وأصولها (أو بتعبير أدق: عدم تَمَطْلُق الحقيقة)¹، وعدد الرؤى وألوانها، وتشابك المصائر وتعقيداتها، ونسبة الأعمال ومعايرها...

وفي هذا السياق يشير مولر² أن "الحقيقة" تصير حاملاً للعنف بمجرد أن تَمَطْلُق تَتَخَذ صفة الإطلاق s'absolutise ولا ترسيخ في فريضة الاعنة. فإذا لم تقضِ الحقيقة بنزع شرعية العنف من الجذور، ستأتي لا محالة لحظة يظهر فيها العنف بالطبع كوسيلة شرعية للدفاع عن الحقيقة. يتبع الاعتراف بفريضة الاعنة رفض الوهم بتاتاً، ذلك الوهم الذي تحمله الإيديولوجيات وجميع الخطابات التي يستوحيها المنطقُ السليم

1 الحقيقة ينبغي ألا تَتَخَذ صفة الإطلاق لأنها لو كانت كذلك فإن مدعها سيجد الشرعية لممارسة العنف بحجج الدفاع عنها.

2 قاموس الاعنة: مرجع سابق ص: 106

منحرفاً والحمامةُ مستشريةً، وهم أن من الضروري والعادل اللجوء إلى العنف دفاعاً عن الحقيقة.

إن اللجوء إلى العنف يعني قولاً واحداً اتخاذ موقع لا يمكن للحقيقة أن تكون فيه. ندعى خدمة "الحقيقة" والدفاع عنها بالعنف، ولكن "الحقيقة" هي التي تخدم العنف وتدافع عنه في واقع الأمر. وفي هذا التحالف الشاذ يكون ما يتعزّز هو العنف، لا الحقيقة.

كل شيء يجري وكأن الحقيقة هي التي تحكم لصالح العنف، بحيث يبدو العنف نفسه حقيقةً. فالعنف ينتصر سلفاً ويفرض نظامه مادام حاصلاً على تواطؤ الإنسان فكريًّا. أما في الواقع، فالعنف ضلاله؛ وضلٌّ كل مذهب يزعم تبرير العنف، أي جعل العنف حقاً للإنسان. فالعنف يعيق سيرورات الحقيقة التي يمكن لها أن تُخلق بين البشر."

وينبني على هذا التصور لمفهوم الحقيقة أمور منها: إن هذه الأطروحة تلغي منطق الادعاء بالتحكم بالقوانين، فيما يتعلق بالقوانين الواقعية، أو النظم السياسية، أو الشرائع الدينية، أو القوانين الوضعية... لأن القوانين والنصوص كلها بما فيها "اللاهوتية"، هي في النهاية أحد أشكال الخطاب، والخطابات متساوية في كونها خطابات ولا أحد منها يمتلك الحقيقة.

هذه الأطروحة تقوّض الأنظمة الأحادية والتوتاليتارية الشمولية، بما فيها الليبرالية الشمولية، والعلمانوية المتطرفة، فتسقط كل أشكال النماذج الأبدية الأحادية، التي تمنح نفسها الحقّ الحصري في منح صكوك الوطنية، والديمقراطية، والحرية، والغفران السياسي منه والديني على حدّ سواء، وتصادر الحقائق وتحتكر التفسير وتُجبر كل الكائنات الخيطية بها على اعتناق تأويلٍ واحدٍ هو ما تزعم انه "حقيقة" أكيدة.

من مفاعيل هذه الرؤيا أنّها تكسر صورة النموذج من الذهنيات وتُلغي المنطق القائم على التّماهي بالمثل، حتّى على المستوى الفردي طالما أنّ الأصل مزدوج ومتّوّع، فكلّ كائن حالة قائمة لا يتطابق مع نفسه أو يتساوى مع ذاته، ولا يوجد ذات وآخر، لأنّ الآخر يخترقنا بشكل دائم ونَحْن نَخترقه، وقد تتّنوع الأطوار بين الأفراد فالغير قد يكون ما كنّا نحن عليه، أو ما نرّغب أن نكون عليه، أو ما نَحْن عليه الآن، أو ما نُخفيه، لذلك فإنّ التعامل من منظور الذات المتّوّعة المتّطورة يجعل كلّ البشر في الأرض شركاء بعضهم البعض.



اللاعنف وإدارة الهيمنة

"ليسَ بوسَعِ الْلَاعْنَفِ، مِنْ حِيثِ طَبِيعَتِهِ، 'الْاسْتِيَلاءُ'"
على السلطة ولا يمكن أن تكون هذه هي غايتها، لكن بوسَعِ
اللاعنف أن يفعل ما هو أكثر من هذا. بوسَعِهِ أن يُشرِفَ
وَيُراقبُ السُّلْطَة بِفَعَالِيَةٍ دونَ أَنْ يَسْتَوِلِيَ عَلَى أَجْهَزةِ الْحُكْمِ"¹
المهاتما م. ك. غاندي

1 المهاتما م. ك. غاندي: كتابات وأقوال، ترجمة: أكرم إنطاكي، تدقيق: هفال يوسف، معابر للنشر، دمشق، 2009، ص: 72.

لا شك في أنّ مفهوم "السلطة" يُشكل نقطة محورية لفهم العلاقة الجدلية القائمة حول إدارة "الهيمنة" والنفوذ وموازين القوى، وقد حَمَل هذا المفهوم تشابكًا غير مسبوق، وتعقِّيد بالغاً مع تطور الحياة المدنية، الأمر الذي جعل الفكر السياسي - الاقتصادي - الدعائي " هو المحتكر والمحكم للحديث عن السلطة، وغالباً ما تُعرَّف السلطة، بأنّها سلطة الدولة، أو السلطة السياسية وأنّها عبارة عن مؤسساتٍ وأنظمةٍ وأجهزةٍ، تُخضع المواطنين أو الرعايا لقوانينها داخل حدود دولة ما.

لذلك فإن مفهوم السلطة بهذا المعنى يُشكّلُ نظاماً من السيطرة، والهيمنة، التي تُمارسه فئة ما على فئة أخرى، مُتَجَزِّنةً بذلك صُوراً علّة، منها صورة العنف تارة وصورة القانون تارة أخرى.

بهذا الوصف، تبدو السلطة كظاهرة، أداة إيديولوجية، وأداة عنفية قمعيةٌ، تسعى لإعادة إنتاج شُروط انتاج العنف وعلاقاته، بهدف تغليف تناقضات مجتمع ما، وربطه وتوحيدِه.

إذن بهذه الصورة المقيمة للسلطة فإنَّ فلسفة اللاعنف ترفض "السلطة" بطبيعة الحال لأنَّها تتنافى من حيث الأصل والجوهر مع مفهوم اللاعنف الكوني، وفي هذا السياق يشير ندرة اليازجي¹ إلى

¹ ندرة اليازجي، العنف واللاعنف في الطبيعة والإنسان، مطبعة اليازجي، دمشق، سوريا، ط 2008، ص: 27.

أن شَهوة السلطة وهي التسلط دليل على العنف حيث يكمن الصراع فيها، معتبراً أن المفهوم السلطـة بمفهومها الإنسـاني تعـني الخـدمة فـقط وهي السـلطـة الـواعـية الـتي يـتـمـتعـ بهاـ الحـكـماءـ.

لـذلك نـجـدـ انـ السـلـطـةـ بـمـفـهـومـهاـ الـحـالـيـ السـائـدـ هيـ مـأـسـةـ لـلـإـنـسـانـ الـأـنـانـيـ لـأـنـهـ تـعـبـيرـ عنـ الـعـنـفـ الـكـائـنـ فـيـ دـاـخـلـهـ حـيـثـ يـعـدـ الـإـنـسـانـ إـلـىـ التـخـلـيـ عـنـ حـقـيقـتـهـ، وـحـقـيقـةـ الـخـدـمـةـ، لـيـخـضـعـ الـآـخـرـينـ لـمـظـاهـرـ الـعـظـمـةـ الـفـارـغـةـ.

أـمـاـ جـانـ مـارـيـ مـوـلـرـ¹ـ فـهـوـ يـصـرـ عـلـىـ أـنـ يـمـيـزـ فـيـ المصـطـلـحـاتـ مـعـتـبـرـاـ أـنـ "الـسـلـطـانـ"ـ لـاعـنـفـيـ فـيـ جـوـهـرـهـ حـيـثـ يـقـولـ:ـ "يـجـدـرـ بـنـاـ،ـ بـادـئـ ذـيـ بـدـءـ،ـ أـنـ نـمـيـزـ بـيـنـ "الـسـلـطـانـ"ـ a~utorit~eـ وـبـيـنـ "الـسـلـطـةـ"ـ

ذـيـ بـدـءـ،ـ أـنـ نـمـيـزـ بـيـنـ "الـسـلـطـانـ"ـ a~utorit~eـ وـبـيـنـ "الـسـلـطـةـ"ـ

وـأـنـ نـصـرـ عـلـىـ هـذـاـ التـمـيـزـ.ـ فـمـاـ يـمـيـزـ السـلـطـانـ،ـ سـوـاءـ كـانـ سـلـطـانـ شـخـصـ أـمـ سـلـطـانـ مـؤـسـسـةـ،ـ هـوـ أـنـ الـذـيـنـ يـوـعـزـ إـلـيـهـمـ أـنـ

يـتـبـعـوـ نـصـائـحـهـ وـتـعـلـيـمـاتـهـ يـعـتـرـفـونـ بـمـرـجـعـيـتـهـ.

فـطـاعـةـ الـمـرـجـعـيـةـ تـحـظـيـ بـالـقـبـولـ؛ـ إـذـ إـنـ مـاـ يـرـبـطـ بـيـنـ صـاحـبـ

الـمـرـجـعـيـةـ وـبـيـنـ الـخـاضـعـ لـهـ لـيـسـ تـواـزـنـ قـوـةـ،ـ بـلـ عـلـاـقـةـ ثـقـةــ -ـ حـتـىـ

إـنـ كـلـامـ الـمـسـؤـولـ نـفـسـهـ يـصـبـحـ "حـجـةـ يـرـجـعـ إـلـيـهـاـ".ـ مـذـ ذـاكـ،ـ

لـاـ تـلـزـمـهـ أـيـةـ وـسـيـلـةـ إـكـرـاهـ لـفـرـضـ هـيـبـتـهـ.

1 جـانـ مـارـيـ مـوـلـرـ،ـ قـامـوسـ الـلـاعـنـفـ،ـ مـرـجـعـ سـابـقـ،ـ صـ144ـ.

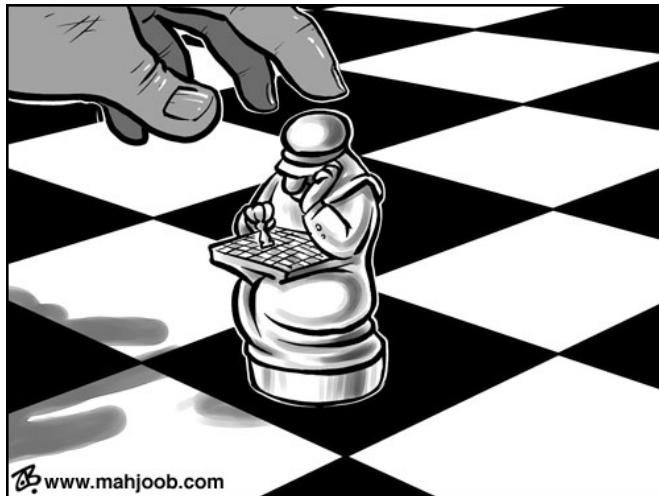
مع ذلك، لا يقتضي السلطان سلفاً علاقةً مساواةً بين صاحبه وبين التابع له؛ فالسلطان، بطبيعته، ينطوي على تراتبية هرمية. إن المعادلة الشخصية لصاحب السلطان أهمٌ من الوظيفة التي يُمارس باسمها مرجعيته. نتكلم هنا عن "سلطان معنوي" لرجل قد يتفق له أو لا يتفق أن يمارس وظيفة سلطة، لكن علمه وكفاءته وخبرته ونزاهته واستقامته وحكمته تبعث على الاحترام. إن ما يشكل قوّة السلطان هي إرادته أن يعدل على الدوام: فمن يُمارس السلطان يفقده حالاً يحيد عن صراط العدالة. يحترم السلطان حريةَ الذين يقوم عليهم.

اللجوء إلى العنف هو إقرار بالضعف عند صاحب السلطة؛ والعنف يُفقدُه سلطانه. السلطانُ لاعني في جوهره. فالعنف عاجز عن إيجاد السلطان من جهة؛ ومن جهة أخرى، عندما تُجرّد السلطة من السلطان، لا مفرّ لها من اللجوء إلى العنف. إذن فمن قبيل الواقع في لبس كبير تعريفُ استعمال العنف بوصفه الممارسة السوية للسلطة. لا جرّمَ أنّ في إمكان العنف أنْ يُرغّمَ على الطاعة، لكنّه لا يقدر أن يكون بديلاً عن السلطان، بل هو نفيه دوماً.

يقول جبران:

"إِنَّمَا الرَّجُلُ الْعَظِيمُ ذَلِكُ الَّذِي لَا يُسُودُ وَلَا يُسَادَ!"¹

1 جبران خليل جبران: رمل وزبد، مرجع سابق، ص 137



تفكيك مفهوم السلطة وتاريخ الحقيقة

إن مفهوم السلطة¹ إذن كما هو "مُتعارف عليه" والسائل في أذهان الناس: يوصفه السلطة السياسية المتبلورة في مؤسسات تخضع رعياها حدود جيوسياسية معينة، أخذ يتفكك مع بعض الفلسفات المعاصرة، ويُعد نيتشه من أوائل من حاول تفكيك مفهوم السلطة، مرتكزاً على العنصر التفاضلي²، لتحديد و توليد القيم

1 هذا البحث تناولته المؤلفة أيضاً في كتابها "فكّر على ورق". أما في نقد السلطة السياسية فيمكن العودة إلى كتابها: "أفكار متمردة في الفكر والثقافة والسياسة" القسم الأول بعنوان تكنولوجيا السلطة في الأنظمة الرعوية.

2 Nietzsche. Humain, trop humain. T1, trd. R.Rovini. Idées Gallimard, 1968, préface, p7

أيًّا كانت، الأمر الذي يقسم البشر والمجتمعات، بكل موضوعاتها المتعلقة بها ورموزها، إلى تعارضات متنوعة ومختلفة في آن معًا، فيغدو العالم من وجهة نظر نيتشه، مجموعات متنافرة متنافرة، تتصارع بهدف الاستحواذ على كميات الواقع. كما أن بعض التيارات الفكرية والاتجاهات السوسيولوجية، حاولت أن تتنزع من الفكر السياسي، إحتكار مفهوم السلطة، ومع هذه التوجهات تكون السلطة السياسية أحد أوجه السلطة وليس كُلُّها، وما هي إلا الأشكال التي تنتهي إليها السلطة، فهناك سلطة الأسرة، والعمل، والمال، والعقائد، وتأويل النصوص، والمعرفة...

لقد استطاع ميشال فوكو¹، أن يستلهم نيتشه، في حديثه عن القيم والأخلاق، ليتكلّم عن السلطة، متجاوزًا الطرح المنهجي نحو الطرح الأركيولوجي التاريخي، من خلال ما عُرِف بالـ"جينيولوجيا" أيّ تاريخ الحقيقة، فهذه الأخيرة تُعدُّ الأداة التي تسمح للفلسفة بأن تلتقي بالتاريخ؛ يجعل الفلسفة تتخلى عن منطلقاتها الميتافيزيقية، والدفع بالتاريخ إلى أن يكون اهتمامًا بما يُحدث فعلاً في جميع مستوياته المختلفة.

1 Michel Foucault ; les mots et les choses ; Gallimard. 1966. p. 12

لقد انطلق فوكو من أرضية متحرّكة لعلاقة القوى، التي تولّد دونما انقطاع، وبهذا المنظور، فليس السلطة بالضرورة هي رأس الهرم وحسب، وليس هي نابعة دائمًا من الأعلى، فهي ليست فوقية دائمًا، بل هي "محيطة" تأتي من كلّ صوب، وذلك بسبب انّها متولّدة، تتفاعل في كل لحظة، فالكائن يقع تحت سلطة مكوّنة من شبكة علاقية من مجموعة سلطات متفاعلة فيما بينها بشكل دائم.

فالفرد محكوم بسلطة الإدارة التي يعمل بها، وسلطة منظومته العقائدية التي يؤمن بها، وسلطة العادات والتقاليد التي يمارسها، وسلطة الأسرة التي ينتمي إليها، وسلطة الدولة التي يعيش فيها، وهكذا فالإنسان محكوم بسلسلة لا متناهية من السلطة المحيطة به بشكل دائم، ومستمر، وتفاعل، و"مولد"، ومركب في آن، مجموعة هذه التفاعلات تشكّل له واقعه.

وبهذا التّوصيف فإن التركيبات الجتمعية، لا تقوم على الثنائية الضدّية، فالمجتمع لا ينقسم إلى أقوياء وضعفاء، رؤساء ومرؤوسين وحسب، بل هناك مجموعة علاقية لقوى متنوعة متعدّدة، تتكون منها أجهزة الإنتاج و تعمل من خلالها، وتشكّل المؤسسات الحامل للانقسامات والنزاعات والرابط بينها.

والسلطة بهذا الوصف ليست إلا حركة، بواسطتها تحول القوى فتخفف من حدة قوى لحساب قوى أخرى، أو تزيد من حدة قوى، أو تعمل على قلب موازين بفعل "الصراعات" التي لا توقف. إذن السلطة -بحسب هذا الطرح- هي الاستراتيجيات التي تؤثر في القوى وتُجسد أهدافها، وتبلور من خلال مؤسسات الدولة وأجهزتها كما تبلور في القوانين وكافة أشكال الهيمنة المجتمعية الأخرى.

يمكن القول أن السلطة بهذا المعنى ليست "منصباً" أو شيئاً ملماً ملماً، تمسك به، وتحتكره، وتنصارع عليه، فالسلطة استراتيجية ممارسة، تنطلق من نقاط لا تنحصر في خضم بحر من العلاقات المتحركة، وغير المتكافئة، مهمتها الأساس أن تنتج الواقع في أحدي مستوياته بكل تعقيداته وتعده وغليانه.

إن أهمية جنialوجية الحقيقة هذه، تكمن في كونها، أبرزت علاقة الحقيقة بالسلطة، فهذا الجانب هو الذي استعاده فوكو من نيته، وطبقه على موضوعات لم يكن تاريخ الفلسفة يحفل بها. فلقد لاحظ فوكو أن ما ندعوه حقيقة، هو نتاج لصراع القوى، ودخول قوة في علاقات مختلفة تتسم بالصراع، ومن ثم بالهيمنة، وبالسيطرة لأن ما يسمى بالواقع ليس ذلك المجال الساكن

والهادئ الذي ينتظر فاعلا من الخارج لكي يؤثر فيه، بل الواقع يعج بالصراعات التي لا تنتهي¹.

إذ حينما يلتقي فعل بفعل آخر ينبع عنه صراع القوى، فتتربّع كل قوّة إلى الهيمنة والسيطرة؛ لهذا من العبث إقامة تاريخ للحقيقة دون الاهتمام بفهم "صراع القوى"²؛ فما يسمى، عادة، حقيقة ما هو إلا تجسيد لقوّة انتصرت على قوّة أخرى. وبالتالي فإن السلطة هي هيمنة وسيطرة قوّة على أخرى، هذا ما يجعلها تأتي من كل مكان، وتنتج بمجرد ما يقع هناك التقاء لقوّة بأخرى.

فكلّ نقطة في الواقع قادرة على إنتاج السلطة، أي علاقات قوى. لهذا يتحدث فوكو، في سياق الفكر النيتشوي، عن إرادة للحقيقة هُمُّها إقامة فَصل بين ما يعتبر حقيقة، وبين ما يعتبر خطأً ووهمًا وضلالاً.

1 Nietzsche: *Généologie de la morale à l'idée*/Gallimard, 1964. Trd. Henri Albert, p. 108

2 إن طرح وجهة نظر فوكو وعرضها ليس الهدف منه إظهار حتمية "الصراع" في المجتمع الإنساني، لأنني كإنسانة "كونية" لا أؤمن بحتمية أي صراع مولّد للعنف؛ بل إن الصراع هو نتاج "تجمعات تدعّي امتلاك الحقائق"، وهو خروج للإنسان عن روحه وأخضاع عقله للمادة المفعّلة. لذلك فإنّ تأمّل الوعي الإنساني ورؤيه يعني كمال تحرر روحه من أسر الانفعالات الموجعة كما يقتضي النظر إلى أنّ الحقائق متّوّعة وذو أوجه متعدّدة وتنتهي لمستويات واقع لا متناهية.

ولا يمكن فهم تاريخ الحقيقة، إذا نحن اكتفينا بالنظر إلى الحقيقة باعتبارها الصدق والحق الذي انتصر على الخطأ، لأن هناك ماهية تُميّز كل واحد في ذاته، وتجعل كل طرف من أطراف "بنية" الحقيقة ينفصل عن الآخر بمجرد ما نُعرّف أن الحق حق، والخطأ خطأ. بيد أن الفصل ليس فصلاً تاماً ونهائياً، مما يُعتبر حقيقة يمكن أن ينقلب وينتقل إلى ما يُناقضه؛ وهذا ما يظهره تاريخ الحقيقة. حيث نلاحظ، أن حقيقة ما لا تبقى ثابتة ولا أزلية.

إن الحقائق متعددة في التاريخ، تبعاً لتعدد القوى المشكّلة له من جهة، ولنمط العلاقات التي تقوم بين القوى من جهة أخرى. فعندما نتابع، في التاريخ، كيف انتصرت قوة على قوة أخرى، وكيف أن استراتيجية تحكمت في صراع القوى، نفهم لماذا تم الرفع من مكانة حقيقة ما، واعتبرت صدقاً على حساب ما تم إقصاؤه على أنه خطأ.

في هذا المنحى، فإن إقامة تاريخ للحقيقة، انطلاقاً من صراع القوى، ما كان ليتم لولا الربط "الحدث الأركيولوجي" ¹؛ وبهذه المعاني المتقدمة، ستتّخذ إشكاليات السياسة والسلطة والحقيقة والمعروفة، معانٍ آخر فلن تعود المسألة تحديد موقع

1 Michel Foucault :Les mots et les choses .op.cit. p. 230

الحقيقة والسيادة الطبقية، بل إنّ مفهوم الحقيقة ذاته سيصبح عبارة عن مجموع الاستراتيجيات والعمليات التي يتمُّ بفضلها إنتاج العبارات وتوزيعها وتداولها، فالأمر لا يتعلّق بتحديد منهج الوصول إلى الحقيقة، وإنّما بتحديد الجهات التي تنتهي إليها هذه الحقيقة أو تلك، فالأركولوجيا لا تعني الانتصار لقيمة على قيمة أخرى، وإنّما البحث في قيمة القيم وتحديد نظام الخطاب وسياسة الحقيقة.

والسؤال الذي يُراود الأذهان هو: هل يمكن إيجاد واقع لا سُلطةَ فيه؟ وهل هناك كيفية يُمكن للفرد أن يعتمدها للالتلاف على السلطة التي تواجهه في كل مكان، والتي تقيم سلّيحاً من الضبط والمراقبة، يحيط بكل سلوكاته وتصرّفاته؟ إن على الفرد عدم التوّهم أنّ هناك واقعاً لا "سلطة" فيه. إن عملية التحرّر الفعليّ من السلطة لا تتمّ إلا عندما يُخضع القوّة، من أجل امتلاكها، لذاته؛ انطلاقاً من الذّات نفسها، مما يعني أنّ على الفرد أن يجعل من قوّته قوّة تؤسّس الحقيقة، عندما يطوي الخارج عنه لكي يُصبح داخلاً فيه.

من هنا يُمكن القول أن التمييز بين مفهوم "السلطان" و"السلطة" من الأهمية بمكان، فالسلطان يحترم خيارات الأفراد

وهو لاعنفي، فيما السلطة تحمل التسلط وبالتالي القهر ويصبح العنف ممارسة لا تنفصل عن السلطة، فيما السلطان يبني على الخدمة بالدرجة الأولى وهو عبارة عن طاعة إختيارية لذوي العدالة والاستقامة مِمَّن يَتحَلُّون بالخبرة والحكمة الخادمة للإنسانية، وهو لاعنفي بالدرجة الأولى ويقوم على احترام حرّية من يقوم على خدمتهم ومفهوم الحقيقة عندها، يصبح هو "أَحْقَيَ الْضَّمِير" ويكون الساعي إليها الأكثر تواضعاً كونها المحرر والعائق من أسر "أنوية السلطة" والعنف وشهوة التملك وانفعالات المادة، والحقيقة هي الكامنة في قلب كلّ كائن إنساني، وهي تلك التي لا تدفع ب أصحابها إلى إرغام الآخرين على تبني أي رؤية خاصة... فيكون التنوّع في تلك الحالة، هو محرك التحول الذي تعرفه الحقيقة، والذي يجعل من الحقائق التي يتمّ الرفع من مكانتها كحقائق كونية هي حصيلة خبرة الحكمة الإنسانية، وحصلية ثني واستيعاب قوة الروح والضمير لشهوات الغطرسة والجاه والمادة والحدق.....

يقول غاندي: " خلال المسيرة نحو الحقيقة، يتّحَّى الغضب والأناية والحدق.... جانباً لأنّه لو لا هذا لكان من المستحيل الوصول إلى الحقيقة. إذ من الممكن أن تكون عند الإنسان، الذي تتحكّم به العواطف، ما يكفي من النّيات الطيبة، وأن يكون

صادقاً في كلامه، ورغم ذلك لا يجد الحقيقة مُطلقاً. لأن البحث الناجح عن الحقيقة يعني التحرر الكامل من ركام من ركام الثنائيات كالحب والكراهية، والسعادة والبؤس¹

لذلك فإن سيرورة العمل اللاعنفي وفلسفته لا يمكن أن تكون ساعية للوصول للحكم أو الاستيلاء على السلطة، واستراتيجية العمل اللاعنفي لا تهدف إلى امتلاك السلطة مباشرة بل إلى استخدام وسائل الالاتعاون مع أنظمة العنف والمؤسسات والقوانين الجائرة التي تناول من حرية الإنسان عبر (العصيان المدني) بهدف إرغام نظام غير عادل وارغامه على التفاوض ورد الحقوق إلى نصابها عبر مقاومة طغيان الجور بشكل سلمي.



1 المهاجم. ك. غاندي، سيرة ذاتية، قصة تجاري مع الحقيقة، ص: 254 – 255، كتابات وأقوال غاندي، مرجع سابق، ص: 30.

بين "الحقيقة" و "الحقيقة"

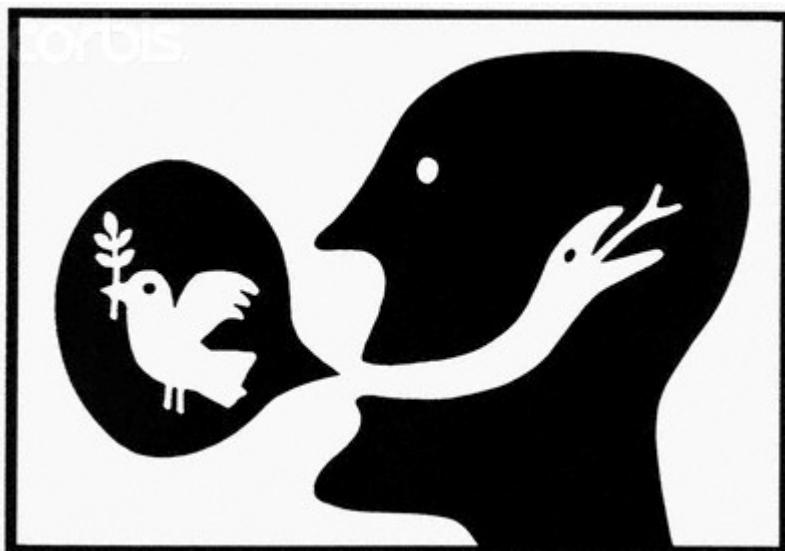
"الحقيقة" التي تدركها عبر العقل، وهي التي تخضع للتجربة، وبهذا التوصيف فهي نسبية، لأن العقل يصيب ويخاطئ، وهي التي تتدخل بها العوامل الزمانية والمكانية والظروف، لذلك فهي ليست ثابتة ولا مطلقة، وهي مشروطة تخضع لشروط النسبية والتعددية ولتقنيات العقل ولانفعالات "الأنماط"، وتتمثل انفصال العقل عن الموضوع والمادة عن الروح، لذلك فإن ادعاء امتلاكها أمر خطير يؤدي إلى حتمية الصراع والعنف.

الحقيقة الحقة التي تدركها بالحكمة والروح والوعي الأسمى والحدس المباشر والتبصر وبهذا التوصيف فهي مطلقة، وهي لا تخضع لمعايير الزمان والمكان والظروف، لذلك فهي أحادية الاتجاه، تتجاوز التعددية المتمثلة في الطبيعة والمجتمع والفلسفة نحو الوحدة الكونية الشاملة، و تُدرك بحدسٍ مباشر متصل مع الكون، لا تعتمد أداة ولا يدخل عمل "الأنماط" بها، إنها نابعة من الرؤيا

الداخلية العميقه والتجربة الروحية عبر التأمل الذي يعاين مكتونات الوجود في جوهره وظاهره، ويرى توافق وتواصل الروح مع المادة وتناغم العقل مع الموضوع في صميم وحدة لا تنفصّم، فتتجلى الحقيقة عندها بالمحبة **المتعلقة بالمعكسة في الحياة.**



إمبراطوريات العنف



صِنَاعَةُ الْحَرُوبِ بِاسْمِ "السَّلَامِ"



العلاقات الدولية دبلوماسية رشد أم إستراتيجية خراب

"يمكن خفض القوات (ال المسلحة) والتخالص منها فقط عندما يكفّ البشر عن تصديق الحكومات و يبدأون البحث بأنفسهم عن الخلاص من الولايات التي تُعذّبهم، وأن يبحثوا عن همّا الخلاص ليس في تدابير الدبلوماسيين المعقّلة والمتأنّقة، وإنّما في تنفيذ القانون المُلزّم لكل الناس والمكتوب.. في قلب كل إنسان والقائل: لا تَفعَل بالآخرين ما لا تريدهم أن يفعلوا بك وخاصة قتل قربيك"

ليف تولستوي¹

¹ ليف تولستوي، مختارات من كتاباته الفكرية والفلسفية، في كلامه بمناسبة المؤتمر حول السلام في استوكهولم 1899، ترجمة هفال يوسف، معابر للنشر، دمشق 2009، ص 99.

"إننا نرفض أن تعتبر دول العالم القوية الحرب أداة مقبولة للسياسة الخارجية، من جديد. إن هذا يخلق جوًّا عالًّيا من الخوف والتهديد وعدم الامان" ¹

إن النموذج الحالي لبنية العلاقات الدولية القائمة يدفع إلى العنف في شتى أنحاء كوكبنا الأرضي بل ويعذّي وقوده بشكل مستمر متذرّعاً بشعارات "فاضلة" مُمارساً أبغض الضغوط على شعوب الأرض، كونه يرتكز على مفاهيم تختزل جميع الأبعاد والعلاقات بالصلحة المادية البحتة؛ وبعد ان مارس المجتمع الدولي دوراً إنسانياً إيجابياً عقب الحرب العالمية الثانية ساهم في رفع المعاناة عن كثير من الشعوب؛ فإن القيم الإنسانية لم تعد طرفاً في أي معادلة دولية الآن إلا بالمقدار التي توظف فيه لصالح الدول المتنفذة والتي لا همّ لها سوى مزيد من السيطرة والربح. وأتساءل دوماً عن جدوى انعقاد ما يُسمى "زوراً" بمؤتمرات السلام، وهل يُعقل أن تقوم "الحكومات" بإحلال السلام؟؟؟ وان ادعاءات ضبط السلاح المدمر وخفض أعداد الجيوش مرهون بها؟؟؟

¹ البيان الصادر عن اجتماع رؤسائه الكنائس المسيحية الاوروبية، في 5 شباط فبراير 2003، الذي عقد في برلين بدعوة من مجلس الكنائس العالمي والمجلس الوطني لكتائس المسيح في اميركا إبان الحرب على العراق.

فهل من المعقول أن ترعنى "الدول" نزع سلاح تقوم هي بتصنيعه وبيعه؟! وهل يمكن لمن يرعى "الحروب" أن يُيجِلَّ مناهضة "التعسُّك والتسلاط بكل مستوياته بداعٍ من السلاح العادي وصولاً إلى السلاح النووي والبيولوجي مروراً بالاستنساخ وتسخير علم الوراثة في التدمير؟!

فمن أي "نظام عالمي" يتكلمون؟؟

الاجابة ربما تكون كما قال جبران:

"طالما رأيتكم ساجدين على ركبكم أمام أبواب المدينة
وإلى جوانب المواقد تعبدون حريرتكم
وأنتم بذلك أشبه بالعبيد الذين يتذلّلون أمام سيدهم
العسوف الجبار، ييدحونه وينشدون له وهو يُعمل السيف
في رقابهم"¹

¹ جبران خليل جبران، *النبي*، تقديم جليل جبر، دار الجليل للنشر والطباعة والتوزيع، 2004، بيروت، لبنان، ص 123



النظام العالمي الجديد بين إرادة الهيمنة وإدارة العنف

ان المخور المفصلي الذي اعتمدته البعض لتأريخ مرحلة "ما بعد الحرب الباردة"، تجلّى بإعلان بوش الأب عن "تأسيس نظام عالمي جديد" تزامن مع تحالف موسّع مفوض من قبل الأمم المتحدة لتأديب العراق عقب غزوه للكويت حيث قال: "أن الامر ليس قاصراً على مجرد دولة صغيرة تعرضت للعدوان، وإنما هو أكبر من ذلك، انه نظام عالمي جديد تلتقي من خلاله مختلف دول العالم حول قضية مشتركة تتمثل في السعي الى تحقيق تطلعات البشرية الى السلام..."¹

1 L. freedman & E. Karsh , The gulf Conflict 1990 – 1991 – London: Faber &Faber , 1993 page 24

ثامر كامل محمد. الأخلاقيات السياسية للنظام العالمي الجديد ومعضلة النظام العربي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية أبوظبي، 2008

غير أن المناداة بضرورة "تأسيس نظام عالمي جديد" لم تنطلق في حقيقة الأمر مع إعلان بوش الأب، كما أنها ليست في أساسها مطلباً أميركيًّا وإن كانت الولايات المتحدة من جيّر المصطلح لنفسه، كما أنها ليست صناعة "صهيونية" للسيطرة، كما يحلو للبعض أن يصنفها؛ فهناك تقرير مميز و على قدر كبير من الأهمية لم يلتفت إليه أحد، ولم يلق أي عناية او تسليطاً للضوء عليه، وهو تقرير "تحدي نحو الجنوب"¹، الذي أعدته لجنة غير حكومية، عرفت باسم "لجنة الجنوب"، وتضم شخصيات بارزة علمية وأكاديمية وسياسية وثقافية من أبناء "دول العالم الثالث".

وقد تضمن التقرير دعوة إلى ضرورة تأسيس وإقامة "نظام عالمي جديد"، يستجيب لطلعات دول الجنوب نحو تحقيق "العدل" على مستوى المجتمع الدولي، وكانت اللجنة قد أعربت عن قلقها البالغ إزاء سياسات الدول "المتقدمة" المستأثرة بالقرارات الدولية المهيمنة على الاقتصاد في الدول النامية.

اذن عملية المطالبة "بنظام عالمي جديد" ولدت من قلب معاناة الدول الفقيرة التي شاءت أن تحقق لنفسها فرصة داخل

¹ Challenge to the South - Report of the South Commission ، Oxford 1990

السياسية الدولية، غير أن ذلك لم يلق أذنا صاغية ولم يُسلط الضوء عليه، إلا على يد الولايات المتحدة الاميركية من خلال اعلان بوش الذي استخدمه كمستند "أخلاقي" أساسى، وجواز مرور للتدخل الغير المشروط في دول الخليج.

وبعد أن كان تأسيس "نظام عالمي جديد" مطلباً أساسياً لتطبعات دول الجنوب من أجل تحقيق مزيد من العدالة، وقدر أكبر من المساواة، وتوفير اجواءً أكبر من الديمقراطية، بهدف تحقيق نسبة أعلى من الشراكة، أصبح شعاراً ومظلة دولية للتحرك من جانب واحد.

لست هنا بقصد تحليل أنماط السلوك الاميركي ودوره في إرساء قواعد نظام دولي حقيقي له مشروعية دولية، فالدول تتحرك وفق مصالحها وليس التأسيس الاميركي ولا غيرها من الدول، مركزاً للدفاع عن حقوق الإنسان والسلام أو جمعية خيرية مهمتها "الدفاع عن القضايا العادلة" في العالم، وليس جهة كهنوتية "تمنح الغفران" أو تدافع عن لاهوت الشعوب وعقائدهم.

ويغض النظر عن عدالة أصل طرح مفهوم "النظام العالمي الجديد" أو عدمه فإن الممارسات الواضحة وسلوك

الحكومات أجمعين يوحى بقدر لا يرقى للشك، بأن إدارة الهيمنة وتوزيع أدوار "العنف" فيما بين الحكومات هو المسيطر على الدبلوماسية بين الدول وبالتالي فإن دعوات "السلام" المزعومة لا تعدو عن فصل في مسرحية توزيع "السيطرة" واعادة اقتسام الكعكة من جديد!

إننا كبشر يجب علينا عدم التوهم بأن "الدول" ببنيتها الحالية صانعة سلام! وربما السلام يكون عندما يقر الإنسان بشيء واحد فقط بوضوح وبساطة: أن الإنسان لا يجوز له قتل الإنسان!

وفي هذا السياق يقول هرتسن: "لو اكتفى الإنسان بإيقاظ نفسه بدلاً من إنقاذ العالم، وتحرير نفسه بدلاً من تحرير البشرية، فكم سيكون هائلاً ما سيفعله من أجل إنقاذ العالم وتحرير البشرية!"



عودة الأمبراطوريات قطبية السياسة الدولية وصناعة الحروب

إن المراقب المتّبع لمقالات المخلّين والسياسيين ودراساتهم، يجد أنَّ الكثيرين منهم، يؤرخون مرحلة مابعد "الحرب الباردة" بولادة "النظام العالمي الجديد"، رابطين بإحكام مبرم بين المنهج الأميركي الأحادي الجانبي وعملية بروز الأحادية القطبية في السياسة الدولية.

هذا الربط يُشكّل في حقيقته تحريفاً للسجل الفعلي للعلاقات الدولية خصوصاً في مرحلة بداية التسعينيات، إذ إنَّ القطبية كمفهوم خاص يتعلّق بمستوى النظام يرتبط بتوزيع مراكز القوى من جهة والقوّة من جهة أخرى، أما المنهج الأحادي

الجانب فهو متعلق بالسياسات التي تتبناها الدول ضمن نظام دولي أعد سلفاً.

وفي مقالة كتبها جون فان أودينارين نشرت في مجلة "بوليسي ريفيو"¹ أشار الى الجدل الحاصل بين صناع القرار والأكاديميين على جانب الاطلنطي حول ما إذا كان وجود عالم أكثر تعددية قطبية مفيداً أو مرغوباً فيه، استنتج أن هذا الجدل لم يحقق سوى القليل في سبيل تأسيس توافق حول ما أخذ كلا الجانبين في تسميتها "منهج فعال متعدد الاطراف".

إن الراسد لخطابات الساسة الأوروبيين يجد أنّهم تحدثوا بشكل لا يخلو من التشويش حول الحاجة الى بناء نظام متعدد "الاطراف" او "الاقطاب" مستخدمين المصطلحين بشكل متراوّف، علما ان "الطرف" كمدلول مغاير عن "القطبية".

إن الاشكالية إذن، تتمحور حول محاور عده:

- محور مفاهيمي ومصطلحي حيث ان منطوق المبني مغاير لضمون المعنى.
- محور السياسات الخارجية ومسار دبلوماسيتها ما بعد الحرب الباردة.

1 John Van Ordeñaren, Unipolar Versus Unilateral, Policy Review, No. 124, April 2004

- محور غياب الرؤية الإنسانية في العلاقات الدولية.
- محور فرط الاحساس بالجبروت المادي.

وبناء عليه نجد أنّ الدول برغم من ادعائهما بأنّها تعمل في حقل السلام فإن جيوشها منتشرة تمارس العنف وهي مسلحة بأفتك الأسلحة، فيما تعمد إدارات الدول إلى التخندق في اتحادات إقليمية منفعية مصلحية، متخنة بذلك مظاهر عدّة عقائدية أو سياسية أو اقتصادية، مما ينذر بعودة "الامبراطوريات" مرة جديدة.

وعليه فإن تصنيف الروابط بين "مفهوم القطبية وعلاقتها بالسياسات الخارجية" تكون على الشكل التالي:

- منهج أحادي الجانب في نسق¹ دولي أحادي القطب.
- منهج متعدد الأطراف في نسق دولي أحادي القطب.
- منهج أحادي الجانب في نسق دولي متعدد الأقطاب.
- منهج متعدد الأطراف في نسق دولي متعدد الأقطاب.
- منهج منفتح على جميع الأطراف في نظام دولي خالي من الأقطاب، وهو ما نحلم به.

1 أَفْضَلُ استخدام مصطلح نسق وليس نظام، والسبب أن ما نشاهد هو ادارة صراع قوى في منظومة لا مكان للقيم فيها، وليس نظاما لأن النظم يتضمن بالضرورة بعدا إنسانيا.

وان كان مفهوم "الاتحاد" إيجابي وجيد في حقل الإنسانية لأن تحسيد لروح التسامح الإنساني، فإن "الاتحادات" الإقليمية التي نراها اليوم تَعمل بالدرجة الأولى على تجمعات عسكرية وتحالفات هدفها الأول امتلاك وسائل احتكارية بحيث تصبح كل دولة من الدول الكبرى عبارة عن زعيمة لمجموعة دول صغيرة أخرى تابعة لها بل و"مستعبدة"، مما يرمي العالم في دائرة العنف كون هذه الامبراطوريات" المولدة تنظر بحذر تجاه بعضها البعض بل وتشتت بعضها بشكل أو بآخر.

يقول تيك نات هانه¹:

" نظنّ أننا بحاجة إلى عدو. والحكومات تعمل جاهدة كي تجعلنا خائفين ومُبغضين، لكي نحتشد خلفها. فإن لم يكن لديك عدو حقيقي فستخترع الحكومات لنا عدوا لكي تعيثنا. لقد ذهبت مؤخرا إلى روسيا مع بعض الأصدقاء الأميركيين والأوروبيين، فوجدنا أن الشعب الروسي شعب رائع. ولسنوات كثيرة، كانت الحكومة الأميركيّة تُخبر شعبها أن روسيا هي أمبراطورية الشر"²

1 تيك (بالبُولُوَّدية): هي ترجمة لكلمة شاكيا، اسم عائلة البوذا، نات هانه: هو راهب بوذي فيتنامي ولد 1926 واختار اللاعنف سبيلا في مقاومة الاحتلال الأميركي لفيتنام واسس "المُرْكَة الدُّولِيَّة لِلْمُصالَة" أمضى جل وقته داعيا إلى وقف الحرب والعنف ومساعدة اللاجئين في فيتنام.

2 تيك نات هانه، الحبة في العمل، كتابات حول التغيير الاجتماعي اللاعنفي، ترجمة غيث جازى، تدقيق أكرم أنطاكى، معابر للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط 2008، ص 146.



أسلحة الدمار وخرافة الأمان

"لقد جعل من أسلحته آلةته..."

طاغور ¹ "فكان في انتصارها اندحاره"

"لقد زرع إنسان الألفية الثالثة الهول والماسي في قلب كوكبنا الأرضي الوعاد حتى أدماه... متذرعا باسم المعرفة او العلم او المادة.. حتى غدت الأرض... عبارة عن تجمعات أمنية لوحوش بشرية يريد كل منها تحقيق أمنه الذاتي من خلال نزع الأمان عن بقية البشر.... ومن خلال السيطرة والامتلاك... مدخلات الشعوب في خرم سلطته العميماء"

1 رابنرانات طاغور، طيور شاردة، ترجمة وتقديم: ديتري أفييرينوس، سلسلة الحكمة، دار إيزيس، دمشق سوريا، ط 1998 ص 21.

1 اسطورة الامن القومي

إن أخشى ما يمكن أن نخشاه في عصرنا هذا هو اندلاع حرب نووية، وهي من أشد الأمور مأساوية لأنّها تنذر بكارثة إنسانية حقيقة، وأزمة كوكبية شاملة، تطال كافة وجوه معاش الكائنات، وآثارها المدمرة تتجاوز كلّ ما يمكن أن يتوقعه الباحثون، سواء على الجانب الصحي أم البيئي أم الاجتماعي أم الاقتصادي ناهيك عن الآثار التي تصنف بأنّها غير مادية غير أنّها لا تُقلّ خطورة عن سابقاتها وهي الآثار النفسية والروحية التي من شأنها أن تكون "نمسيساً" ² يولد البلايا وبئس عقى الدار.

ولعل اجتماعات ما يعرف بـ مجلس الأمن ³ عجزت عن ضبط الأمور النووية، وهو بالنسبة عجز حتمي كون الأعضاء

1 أنظر: ندرة اليازجي، العنف واللاعنف في الطبيعة والإنسان، دمشق 2008، ص 55 وأيضاً فريتجوف كوبيرا في مقالته حول "الأمن القومي" والتي أقتبس جزءاً منها للدلالة على خرافية ما يعرف بهذا الأمان للدول أنظر:

Fritjof Capra، National Insecurity، New Age Journal، March/April، 1988
جان - ماري مولر: قاموس اللاعنف - مرجع سابق - راجع العناوين: الأمان المشترك ص 54 - الأسلحة النووية ص 31 - العبر تسلح ص 178

2 نمسيس: Nemesis - Némésis في الميتولوجيا اليونانية ألمة الثأر، كنایة عن عواقب الفعل الشائن وان الإنسان يحصد ما إيه يزرع.

3 مجلس الأمن: أحد أجهزة الأمم المتحدة ويعتبر المسؤول عن حفظ السلام والأمن الدوليين طبقاً للفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة. وبحلول الأمن سلطة قانونية على حكومات الدول الأعضاء لذلك تعتبر قراراته ملزمة للدول الأعضاء المادة الرابعة من الميثاق، ويكون المجلس من 15 عضواً، منهم 5 أعضاء دائمين لهم "حق النقض" الفيتو... والذي سأتناوله في عنوان لاحق.

الخمسة للدول الكبرى هم مُلاك الأسلحة، وهي اجتماعات فولكلورية جوفاء أعجز من أن تسمح بالتوصل إلى مرحلة يصبح فيها كوكب الأرض بкамله ممزوج من السلاح النووي، ولم يعد بإمكان الساسة التقليديين منهم التوصل إلى صيغة تحد من الأضرار الكامنة المتوقعة من جراء حيازة هذه الأسلحة الفتّاكية هنا وهناك، بذرية ما يعرف بالأمن القومي.

فالدول العظمى منحت نفسها حق اقتناء السلاح النووي، وحرمته على غيرها، ليس من أجل الحدّ من الحروب بل لبقاء الدول الأخرى تحت عصا قنابلها وسلطتها، فيما تسعى الدول "الإقليمية" عن طريق المراوغة والعمل سرّاً وعلانية إلى امتلاك هذا السلاح بذريعة حماية "أمنها القومي".

ونجد ان معظم السجالات تنصب حول المزايا والأولويات
لـ "الثوابت الاقتصادية والتكنولوجية" المتحققة من المفاعلات
النحوية، وهي أمور في معظمها تحقق ايجابيات قصيرة المدى، غير
أن العضلات الحقيقة الكبرى تكمن في: ماذا سيحصل على
المدى البعيد فيما لو تحكم غير العقلاة في سلاح كهذا؟؟؟

إن حقيقة المشكل يكمن في بنية العلاقات المعقولة للشعوب نفسها والأجلدى بنا أن نسأل أنفسنا: ما هي جدوى المفاعلات النووية وعملها؟ وما هي الآثار البعيدة المدى

المتحققة؟ وكيف يمكن للكوكب الأرض أن يعيش بسلام في ظل اعمال تضر بالبيئة والبشر؟؟؟ وذلك بدلًا من أن نسأل أنفسنا: من يحق له اقتناء الأسلحة النووية ومن لا يحق له؟؟؟

حول تلك الاشكالية يشير جان ماري مولر¹ إلى انه: "طوال فترة الحرب الباردة كلُّها، أكد ايديولوجيو الردع النووي أن "توازن الرعب" هو أفضل ضمان لأمن الشعوب وللسلام العالمي. وحين كان يشكّك في منطق سباق التسلح النووي، بتبيّان أنه من غير المنطقي المخاوفة بتدمير النفس في سبيل الدفاع عنها، سرعان ما كان يكل الاتهام بالـ"مسلسلة"، أي بالانهزامية والخيانة. وحين كان يؤكّد أن العمل اللاعنفي هو الطريقة المثلى التي تتيح لمواطني البلدان الشرقية مقاومة الاستبداد التوتالياري، كان لا بدّ من مواجهة التشكيك الساخر للـ"واقعين".

إن سقوط جدار برلين قد حرض تغييراً جذرياً في المشهد الإستراتيجي الدولي. وهذا ما يجبر الحكومات على إعادة تعريف الرهانات السياسية والدبلوماسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية لخياراتها المتخنة في مجال الدفاع.

1 جان ماري مولر، قاموس اللاعنف، مرجع سابق، الأسلحة النووية، ص 31.

غير أن المصادرة التي تقوم عليها العقائدُ الدفاعية التي تجهر بها الدولُ المالكة للسلاح النووي ما تزال هي هي: مازال الردع النووي الضمان الأخير ضد تهديد المصالح الحيوية لكلٌ من هذه الدول، وما انفك عاملاً حاسماً في الحفاظ على السلام في العالم. مذ ذاك، يؤكّد المسؤولون العسكريون والسياسيون أن الردع النووي يحتفظ بضرورته الملحة. ولهذا فهم لا يقولون ما هي السيناريوهات الإستراتيجية التي يمكن لهم ضمنها النظر في استخدام السلاح النووي لأن التهديد الفعلي هو بالضرورة خطر هذا الاستخدام. مع ذلك، فالصمت عن هذه السيناريوهات يعني الانحباس في بلاغة مجردة، تقوم أساساً على فكرة بالية عن العظمة القومية"

إذن إن الأمر يحتاج بالدرجة الأولى وقبل كل شيء إلى انقلاب عميق في القيم والأفكار والعمل السياسي والمؤسسات على مستوى دول العالم كافة، إن علماء الاستراتيجية يعتبرون أن معيار تحقق السلام هو في غياب الحروب، وهذا مدلولاً ليس دقيقاً لأن هناك صراعات كامنة دائمة وهي كالنار تحت الرماد، فالأسباب والأدوات المؤدية إلى حروب طاحنة متوافرة في ظل غياب دائم للعدالة الدولية وفي ظل انتشار الأسلحة المادية، وفي ظل تكريس حاد للاختلافات والنزاعات الثقافية والفكرية.

وغالباً ما ينزع الساسيين والعسكريين على حد سواء، إلى إدراك كل قضيّاً الدفاع كقضيّاً تكنولوجياً بحثة متغاضين عن كل الاعتبارات العقلية والروحية والنفسية والاعتبارات الأخرى المكونة للكائن الإنساني، أضف إلى ذلك فإنّ شؤون الأمن والدفاع تدرس من خلال، "كتل النفوذ"¹ Power Blocks، ومن خلال Political "الأفعال وردودها"، ومن خلال مبدأ "الخلاء السياسي" Political Vacuum وهي كلها تضع الإنسان في محور الآلة ودائرتها.

كما أنّ الصورة الجديدة عقب سقوط جدار برلين نزع "الحجّة" التي كانت تتذرّع بها الدول لحماية أنفسها؛ ومن هنا نجد أنّ الفكر الإستراتيجي في مأزق مفاهيمي حرج، وهو أمر كاف لنزع أية شرعية عن أي سلاح مدمر.

آن الأوان لأنّ نسعى لأن نتحول بتفكيرنا جذرياً لرفع الشقاء عن أنفسنا كبشر وتغيير نظرتنا إلى العالم، فنتنقل من محور الآلة المختزل إلى المحور الكوني التكامل، وهي نقلة من رؤية آلية Mechanistic مجتازة تختزل الكائن الإنساني بالبعد المادي الإستهلاكي إلى رؤية كلامية Holistic متكاملة وإيكولوجية (بيئية) تتعاطى مع الإنسان بأبعاده كافة بما فيها الروحية.

1. لقد تناول Fritjof Capra الموضوع بالتفصيل، المرجع السابق نفسه.

إن الرؤية الحالية التي يعمل ساسة العصر الحالي في دائرتها
تعاني الكثير الاختزال وذلك عندما يواصل الساسة والعسكريون
التحدث عن الأمن القومي!!! فعن أي أمن يتكلمون في ظل وجود
أسلحة نووية تهدد كوكب الأرض بأسره؟؟؟

إن مفهوم الأمن القومي أضحم وأكذوبة كبرى تقدم
للشعوب للتضليل ليس إلا، من خلال الإيحاء للشعوب بأن
أمن شعب ما لا يتحقق إلا إذا انتزع الأمن من بقية الشعوب،
والساسة يتصرفون على أساس أن ما يعرف بالأمن قومي
لا يتحقق إلا إذا جعلنا الأقوام الأخرى المحيطة تشعر بالخوف.

وتتألف هذه النظرة الآلية المختزلة إلى العالم من عدد من
الأفكار و"القيم" من بينها الاعتقاد بأن الكون منظومة آلية
مكونة من لبيات بناء أولية، والنظرية إلى الجسم البشري كآلية،
والنظرية إلى الحياة في المجتمع كصراع تنافسي من أجل الوجود،
والاعتقاد بالتقدم المادي غير المحدود الواجب إحراره عبر النمو
الاقتصادي والتكنولوجي، والاعتقاد بأن مجتمعاً تكون فيه الأنثى
خاضعة في كل مكان للذكر مجتمع يتشكل لقانون أساسي
في الطبيعة.¹

1. المرجع السابق. Fritjof Capra – Ibid 1

إن التفكير العسكري التقليدي يعتبر أن خير حل للنزاعات يتمثل في التدخل التكنولوجي ولا يأخذ بالحسبان الكمون الذاتي التنظيم للناس والأمم.

أما السياسيين فإنه يتغاضون عن علل النزاع وأسبابه الحقيقة مركزين بدلاً من ذلك على السيرورات الخارجية؛ على الأفعال المرئية للعنف الفردي، بدلاً من العنف المؤسسي *institutional* المنظم الخفي بما فيه عنف الدولة.



الأمن المشترك والأمن العالمي

يطرح مولر فكرة بديلة عن الأمن القومي وهي "الأمن المشترك"¹: وهذا الأمن لا يقوم على اعتبار الخصم صديقاً ولا يتأسس على ثقة متبادلة، بل يتکئ على الواقع أن خصمنا يحتاج لأن يكون في أمان بقدر ما نحتاج لذلك نحن وأن لنا جميعاً، فيما يتعدى ارتياباتنا المتبادلة، المصلحة الحيوية نفسها في تأمين دفاعنا بوسائل لا تنطوي على خطر تدمير أنفسنا معاً.

1 جان ماري مولر، قاموس اللاعنف، الأمن المشترك، ص 54.

ضمن هذا المنظور، لا يعود الأمن المشترك يقودنا إلى إقامة دفاعنا على أعمال ردع "عدوانية"، بل "دفاعية". لم تعد المسألة هي الردع بتهديد الخصم بأعمال تدمير غير مقبولة، بل بإقناعه بأن وسائل دفاعنا ستحبط كلَّ محاولة عدوان من جانبه وبأن مشروعه سيكتب له كل نصيب بأن يبوء بالفشل. بذل فإن ردعنا كهذا يتبع لصُنَاع القرار السياسيين التمسك بـ"وضعية دفاعية" لا يمكن لها أن تثير أيَّ خوف لدى الخصم مادام لا يتجاوز حدوده. مُذْ ذاك، إذا اتفق لأزمة سياسية أن تطرأ، فإن الدولتين المتنافستين ستتجاذن نفسيهما في وضع إستراتيجي يسهُل كثيراً إبقاء النزاع في الميدان الدبلوماسي حيث ينبغي إيجاد حل له. يمكن تصور أشكال بعينها من الدفاع المسلح من شأنها أن تتيح تنظيم قوة ردع دفاعية؛ لكن الدفاع المدني اللاعنفي هو الأنسب قطعاً لبلوغ هدف الأمن المشترك."

إن غالبية السياسيين الساحقة تتعامل من هذا المنطلق أنه بوسمعنا أن نزيد من أمننا بأن نجعل الآخرين يحسون بعدم الأمن. ولَمَّا كانت التهديدات التي تقوم بها أسلحة اليوم النووية تنذر بإبادة الحياة على الكوكب، فإن التفكير الجديد حول السلام يجب أن يكون بالضرورة تفكيراً شاملـاً. لقد ولَى زمان

مفهوم الأمن القومي برّمته في العصر النووي، ولم يعد في الواقع الآن القبول بأقل من الأمان العالمي.

إن فقدان التوازن الذي نعانيه خطير. وإن من أقسى عواقب هذا الخلل في التوازن خطر الحرب النووية المتصاعدة، الناجم عن إفراط في التشديد على توكييد الذات والسيطرة والنفوذ، والتنافس المفرط، والمhos المرضي بـ"الانتصار" في وضع فقد فيه مفهوم الانتصار برّمته معناه، لأن الحرب النووية لا متصر فيها.

إن المقاربة الكلانية إلى السلام تقوم إلى حد كبير على إيجاد طرق صحّية، غير عنفية، لحل النزاعات؛ نظرة نابعة من أن الإنسان جزء من الكون ومن البيئة الطبيعية، وينبغي عليه أن ينسجم معها، ويتحقق من خلالها التوازن البيئي والصحي، وهذا يعني، تنمية نظرة شاملة إلى شبكة النماذج الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تنشأ عنها النزاعات والصراعات المؤدية للحروب.

إننا نحتاج إلى قراءة كوكبنا الأرضي وتفاعلنا معه بشكل يتجاوز كل القراءات السابقة، تكون قراءة متكاملة قائمة على المعرفة العلمية من جهة، وعلى الواقع من جهة وعلى الحدس والروح من جهة أخرى، إنه العلم الذي لا ينفصل عن الشّعر والبحث الذي لا ينفصل عن الحب، وهذه الرؤية قادرة على اختراع

كافحة أنواع حدود الثقافات والقوميات والتاريخ والسياسات والديانات.... إنها نظرة تحرر الإنسان من كل ما يقيمه وتتيح له الإنعام مع الكون في افتتاح كلي للذات الإنسانية التي لا تكتمل إلا بالآخر من خلال مجتمع إنساني واحد متعدد الثقافات في آن منسجم مع المحيط الأوسع وهو الكون.

وحللا يتم فهم هذا النموذج، يصبح بالواسع استعمال مدى واسع من المنهاج لحل ما يعرف بالنزاعات، لأن الكثير من مكونات الأزمات تحل تلقائياً من خلال تلك الرؤية. لقد أمضى علماء النفس والاجتماع سنوات في دراسة العلاقة في المجتمعات والعوامل المساعدة للعنف بين الأفراد، بيد أنهم أخفقوا في دراسات تحدد من العنف "الجتماعي"، لأنهم تعاطوا مع الكائن الإنساني ببعده الجسدي المادي والأنا النفسي مستغليين الجوانب الأخرى التي يتفاعل معها الإنسان لاسيما تلك المتعلقة بعمل الروح والفطرة.

يقول تندرن كياتسو (الدالي لاما)¹

"إذا لم نقم السلام في دخيلاه نفسنا

فلن يكون هناك سلام في العالم"

¹ تندرن كياتسو: هو الدالي لاما الحالي، ترتيبه الرابع عشر، ولد سنة 1935، والدالي لاما يعني بحر الحكمة وهو لقب منغولي، والدالي لاماوات هم الزعماء الروحيون والزمنيون للتيتية التي تدين بالديانة البوذية منذ القرن الخامس.



حق النقض "الفيفتو" و إجهاض السلام

"العالم الآن من أصغر دكتاتور إلى الخمسة الكبار الذين هم حق الفيفتو، لا يؤمنون بالإقناع. لهذا أمريكا هي التي لها حق الفيفتو في خرق ما يجمع عليه 96% من العالم. والعجيب أن الناس لا ينكرون حق الفيفتو وأنه ضد حقوق الإنسان وضد المساواة والديمقراطية وأنه عنصري ومعيق لنمو العالم وقدوة لكل الدكتاتورين الصغار في العالم. وأنا أعتقد لما يقتنعوا الناس بالديمقراطية وتصير الأمم المتحلة ديمقراطية سيحل السلام بالعالم لأن المستكبارين في الأرض الذين يتمتعون بأكثر من 80% من إنتاج العالم وهم لا يمثلون إلا أقل من 20% من العالم"

جودت سعيد

لم ترد لفظة "النقض أو الفيتو"¹ في قانون الأمم المتحدة، بل ورد لفظ "حق الاعتراض". وإن كان حق الاعتراض مؤشر إيجابي فإن حق "النقض" الممارس هو في الواقع الأمر عنف صريح وإجهاض فعلي للقرارات الدولية وليس مجرد اعتراض. إذ يكفي اعتراض أي من الدول الخمس الدائمة العضوية فيما يعرف بـ"مجلس الأمن" ولو بدون إبداء الأسباب ليتم رفض القرار وعدم تمريره نهائياً. حتى وإن كان مقبولاً للدول الأربع عشر الأخرى.

وفيما يتناقض هذا النظام مع أبسط القواعد الأساسية للديمقراطية، فإن الدول الخمس هذه لم تُنتخب لعضوية هذا المجلس بصورة ديمقراطية، ناهيك أيضاً أنها لا تصوت على القرارات بنظام الأغلبية المعروفة.

كما أن "حق النقض" المزعوم يتنافى مع أبسط الحقوق الإنسانية الطبيعية لذلك فمن الخطأ تسميته بـ"الحق" إنه استراتيجية مخادعة لدوم الظلم وتكريس الحروب، حيث أن الاستراتيجيات المعممة في الانظمة الدولية والتي تخضع لها

¹ حق الفيتو: هو حق نقض أي قرار يُقْلِد مجلس الأمن دون إبداء أسباب، وينبع للأعضاء الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن، وهم: روسيا، الصين، المملكة المتحدة، فرنسا، الولايات المتحدة وقد اعتمد عقب الحرب العالمية الثانية.

السياسات الخارجية تؤدي إلى حتمية عسكرة الدول، وتدفع لمزيد من السباق المحموم للنسلح التي تكتب كل يوم مزيداً من الأذلال للإنسانية والدمار للبشرية في تاريخ الأرض، بل وأبعد من ذلك حيث نشهد "تشريعات وقحة" لجعله مباركاً تحت مسمى "حق صناعة الحروب"!!

أليس عاراً على مدعبي العدالة أن ينشئوا للعنف أنظمة "قضائية" تلفها مؤسسات "أمن" وتحميها جيوش عسكرية جرارة وتسّوق لها وسائل الإعلام الدّعائي؟؟؟

إنه تواطؤ غير مسبوق لأجهزة تسلط أقل ما يقال فيها أنها تفرخ العنف باستمرار وتحصر الفكر البشري في حتمية الصراع مما يجعل احتمالات "المقاومة" محصورة بـ"العنف المسلح" المضاد وإننا كناؤه حياة نربأ بأنفسنا عن كل عنف وندين كل سلاح ونرفض كل حرب!

إن حقيقة الوضع الراهن لآلية عمل مؤسسات المجتمع الدولي لم تعد تصلح للتعامل في عالم شديد الاكتظاظ ومتشارب بطريقة بالغة التعقيد في ظل تداخل ثقافي وعولمة اقتصادية شبه كلية؛ وبعد أن أصبح اتخاذ أي قرار دولي عمليه "نفعية" خاضعة وبشكل دائم "للمصلحة الآنية"، التي تصب في نهاية

المطاف في جيوب "حيتان رؤوس الأموال" والشركات العملاقة في العالم، الأمر الذي جلب قدراً كبيراً من اللامساواة، واستشراء صارخ للنزاعات السياسية والعسكرية التي لا تتوانى عن استخدام العنف المباشر أو المقنع للوصول إلى مصادر الثروة وتحقيق المصلحة الاقتصادية.

فالواقع الدولي الحالي هو في حقيقته "ادارة علاقات صراع" لا يرقى لأن يكون نظاماً لأن لفظة "نظام" كمفهوم حسب بيار بورديو تشير إلى "مركب يقوم على تضافر علة مقومات هي: وسط اجتماعي، وجموعة من القيم والآليات القانونية. ويتمثل دور هذه الآليات القانونية في كفالة وضع القواعد القانونية المنظمة للواقع موضع التنفيذ"¹ وفي هذا السياق يصر سعيد² على عظيم الاجحاف الذي ترتكبه منظمة عالمية كال الأمم المتحدة عبر "الفيفتو" الذي يعتبره (الميراث الروماني الذي لا صلة له بالحداثة)، والذي يشكل

1 Pierre Bourdieu: *Langage et pouvoir symbolique*: Coll. Points, éd. Le Seuil 1982

بيار بورديو، الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بعده العالى، دار توبقال، البيضاء ط2، 1990

2 جودت سعيد، دور الفاعلين الدينين في بناء السلام والديمقراطية، في مخاضرة ألقاها في بلجيكا

2 ديسمبر 2009 خلال المؤتمر الثاني المنعقد تحت عنوان: الاسلام، المسيحية و أوروبا.

Jawdat Said Mohamed, The role of religious actors in peace-building;

Islam- Christianity & Europe - 2nd series of seminars - 2009-2010

انتهاكاً مستمراً فاقعاً لمبادئ حقوق الإنسان، ورصيداً لكل الطواغيت الصغار في العالم الثالث.

ويتساءل أن: (هل كان بإمكان النازية والفاشية لو انتصرتا في الحرب صنع مؤسسة أسوأ من الأمم المتحدة؟ ماذا كان سيفعل هتلر وموسوليني إلا أن يعطيا لنفسيهما مع اليابان حق النقض؟؟ إن نظام العالم الذي نعيش فيه اليوم يكرس شريعة الغاب، فهو مفروض بقوة المتصرين في الحرب العالمية الثانية، ومنظمة الأمم المتحدة معبد تعبد فيه أصنام القوة، وورقة لا تستر عورة الإنسانية بل تفضحها.

كيف يمكن أن ندعوا إلى حقوق الإنسان والديمقراطية، ونقر في الوقت ذاته ببدأً هو ضد الديمقراطية وضد حقوق الإنسان وضد الإنسانية. إن السكوت على الظلم والفساد نفاق سياسي وديني وثقافي، لكن التاريخ يخبرنا بأن أصحاب الامتيازات لا يتخلون عن امتيازاتهم طواعية).

ومن هنا فالدور ملقي على "وعي الشعوب" وقدرتها على "الممانعة" من الانخراط في عنف المادة والآلة والسلطة؛ كما أن الوعي ومكافحة شتى أنواع الظلم بالطرق السلمية يمثل ورقة ضغط حقيقية على الحكومات لتبني سياسات خارجية

أكثر "إنسانية" ، وأكثر أمنا "للبيئة"؛ فالحروب لم تجلب للعالم إلا الدمار وسباقات التسلح لم تنتج لنا إلا "القنابل الذرية" ، والشركات العملاقة لم تولد لنا إلا مصانع مدمرة للبيئة حارقة كوكينا بغازات سامة؛ ويشكّل "العصيان المدني اللاعنفي" إحدى أبرز الأدوات الوعائية للتعبير.

أمل و حلم!

نعم، ربما نحلم بنظام عالمي إنساني يستوعب كافة شعوب الأرض، يعتمد منهجاً منفتحاً على جميع الأطراف، خال من الأقطاب يستمد عناصره من القيم الإنسانية المشتركة للحضارة البشرية، ويتمثل دور الآليات القانونية فيه بكفالة وضع القواعد العادلة المنظمة للواقع الإنساني موضع التنفيذ.

نعم، نحلم أن تتحول الأمم المتحدة نحو الديمقراطية بحيث يكون لها سلطات ثلاثة: تشريعية وتنفيذية وقضائية، مما يرسّخ مفهوم الشرعية الدولية و يجعلها أكثر عدلاً وعندما سيعم السلام العالم...

نعم، نحلم بعالم يسوده الأمان... عالم منزوع من الأسلحة الفتاكـة المدمرـة، عالم لا تتحكمـ به حفنة من الشركات... عالم يحترـم الإنسـان ويقدرـ حرية روحـه... عالم يحافظـ على البيـئة الطـبيعـية... عالم لا يـعرف إـلا السلام...

نعم، نحلم بـ كوكـب وـادـعـ جـمـيلـ يـتنـفـسـ عـلـىـ إـيقـاعـ منـظـومـتهـ الكـوـنـيـةـ، فـمـاـ الـبـشـرـ كـلـهـ إـلاـ جـزـيـئـ صـغـيرـ فيـ عـوـالـمـ أـخـرـىـ لاـ مـتـنـاهـيـةـ.

نعم نحلم، بعودة الإنسان إلى صبغته الإلهية الكامنة فيه!

يقول رابندرانات طاغور¹ :

"إن مجتمعنا موجود ليذكرنا من خلال أصواته المختلفة، أن حقيقة الإنسان السامية ليست ملكاته العقلية أو موارده المادية، إنما في إشراق روحه، وفي امتداد مشاركته الوجودانية إلى أبعد من حواجز الطائفة واللون؛ وفي معرفته للعالم، ليس فقط كمحزن للقدرة، بل وكمعبد للروح الإنسانية أيضًا، مع موسيقى جماله الأبدية ومع نوره الداخلي، انعكاس الحضور الإلهي"²

وأن "القدرة التي تتحقق معجزة الإبداع بتوحيد القوى المتعارضة في تناغم الوحدة، ليس قدرة المهوى بل المحبة التي تقبل بفرح رحابتها قواعد تهذيب الذات، المحبة التي يتجلّى غنامها اللانهائي دوماً أبداً بالتصحية"³



1 رابندرانات طاغور (1861 – 1941) شاعر وفيلسوف هندي ولد في كالكوتا وكتب أدبه باللغة البنغالية، ينتمي لعائلة البراهما الكهنوتية الهندوسية.

2 رابندرانات طاغور، ديانة الشاعر، ترجمة موسى الخوري وغسان الخوري، دار الغربال دمشق سوريا ط 1988 ص 33

3 المراجع نفسه ص 59

ثالوث العنف



مَصْنَعُ الْأَزْمَاتِ: الدُّولَةُ، الْإِقْتَصَادُ، الْإِعْلَامُ



الدولة والعنف

”إن مبني الملك على أساسين لا بد منهما: فال الأول الشوكة والعصبية، وهو المُعْبَر عنه بالجند؛ والثاني المال الذي هو قوام أولئك الجند“

ابن خلدون

يتسم عصرنا بتنامي قوة "الدولة" وارتباطها بكافة مناحي حياة الإنسان اليومية اقتصادياً واجتماعياً واعلامياً وأخلاقياً.... حتى أمست "الدولة" حاضرة أحياناً في وجدان الفرد أكثر من حضور نفسه فيه.

ومن الطبيعي أن نتساءل لماذا تنتهج "الدول" السبل العنيفة لتحقيق مآربها؟ وما هي الطرق التي ينتهجها "السّاسة" للتوصل إلى "الهيمنة" شبه المطلقة على الشعوب؟ وما هي الآليات التي اعتمدتها "هتلر" أو "ستالين" أو "بوش" للسيطرة والتوسيع... مِمَّن أقحموا العصر في أتون حروب مدمرة، ولماذا أدين هذين الرجلين خلال القرن العشرين مثلا دون سواهما ولم يُدان الآخرين؟ ولماذا يدان "المنكسر المنهزم" في الحروب الكبرى ويُوصم بـ"السفاح" في حين ان "المتصدر" المسيطر يُصور على أنه "فاضل" بطل شجاع؛ واعتبار ان كل المبارك التي خاضها هي "حروب عادلة" ومحض "دفاع عن الإنسانية"؟؟؟

ما زال "زعماء الدول" حتى اليوم يُمارسون شتّى أنواع العنف الداخلي والخارجي ويزجّون الشعوب في الحروب، مستعدين لذلك وسائل أكثر قذارة من تلك التي استخدمها "هتلر" في عصره؛ فالأبحاث التي تُحضر لولادة أسلحة "جينية" وبحوث "الاستنساخ البشري" وتعديل الحمض النووي جارية على قدم وساق، والأسلحة الذرية النووية منتشرة في كثير من الدول، والأسلحة البيولوجية والفيروسية ما زالت تُخصص لها ميزانيات ضخمة تحت مسميات "الأبحاث العلمية"...

هذه القضايا لا تندر بالسلام ولا بالخير العميم، وجشع "الهيمنة" يكاد يكون المسيطر الابرز على العلاقات الدولية الآن، وان اتخاذ لغايته أقنعة منمقة وادوات "راقية"، وتخفي بشعارات "إنسانية".....

مجتمعات بلا دولة:

تاريجياً؛ لقد شهدت الحضارات الإنسانية مجتمعات بلا دولة، وحتى عهدٍ قريبٍ كانت بعض المجتمعات القبلية ترفض "سلطة الدولة" وتتهرّب منها ولا تتعاون مع مؤسساتها، مفضلة العيش في الأدغال أو الصحراء على الانضواء تحت سلطة معينة على بقعة جغرافية ضيقة.

إن ملاحظة بزوج الدولة عبر تاريخ الأمم يُظهر أن ولادة "الدول" ارتبطت بـ"العنف الدامي" حيث أن "الزعيم العسكري" يوّلد سلطته بـ"النصر" وـ"الغزوّات" وبقوّة السلاح وبارتكاب المجازر في كثير من الأحيان.

فالمسار السلطوي لقيام دول أو انهيارها، ارتبط بالعنف "الكارثي" وـ"الحروب المدمرة"، التي تعمل على توليد معطيات جديدة معايرة للواقع السابق، تليها فترة كمون تستقر فيها

المجتمعات، وتبلور فيها العلاقات الاجتماعية وغيرها من جديد لتمأسس السلطة على شكل "دولة" جديدة.

وقد شُكّل مفهوم الدولة وعلاقته بالسلطة محوراً أساسياً في البحوث السياسية، غير أن علاقة السلطة بالمعارف الإنسانية، لم تحظى بالاهتمام نفسه من قبل الباحثين، وبقيت الطرóرات الفلسفية ومفاهيمها التقليدية متمركزة خارج الدائرة السياسية وان اقتربت منها، علمًا انه لا يمكن لنا تناول الموضوعات الفكرية والفلسفية او دراسة اي حالة تخص الواقع الإنساني والمجتمعات البشرية بمعزل عن السياسية وان حُيّدت عنها، فالمعرفة ترتبط بالسياسية وتجاوزها، وهي غير مستقلة بذاتها وان ارتدت على كل السلطات ونقدتها.

لقد حاول هيغل في طروحاته الفلسفية ربط تاريخ الفلسفة والحق والمعرفة بتاريخ "الدولة". حيث اعتبر أن التاريخ السياسي ليس الا تاريخ الفكر الذي يتشكل في الاجتماع والعقلانية وال العلاقات بحيث يتجسد على شكل دولة ؛ فالدولة بنظر هيغل هي هدف "العقل الجماعي" وهي "جوهر" بحد ذاتها؛ أما ماركس فقد استبدل الاطروحة الفلسفية بـ"القوى المنتجة" التي تحدد بناءات المجتمع الفوقيه ومنها الايدلوجيات

والمؤسسات والدولة. وعنده فإن الدولة تتضمن "الصراع الطبقي" و"عنف الطبقات"...

بطبيعة الحال فإن طرح ماركس هو تقييم "شولي" للدولة يحدد شروط "أفول الدولة" بدلًا من ولادتها، في مجتمع متصارع تغزوه الكثير من التناقضات.

ولعل أحد أهم ثغرات الفكر الماركسي أنه لم تلحظ الانماط السلوكية والأنشطة المجتمعية التي لا سمة طبيعية أو منطلقات مادية لها، فإن إرادة "القوة" و"الهيمنة" لا يمكن اختزالها كلها بالجانب "الاقتصادي" وحسب، وإن كانت الموارد الانتاجية هي أهم مكونات السلطة ومارستها.



مفهوم "السلطة" وعملية إدارة العنف

تحدد شروط السلطة السياسية وحدودها بوجود الموارد الطبيعية والبشرية، أما عملية الحفاظة على كيانها فيرتبط بادارة الموارد عبر "القوانين والانظمة والأعراف" التي تعيد إنتاج العلاقات عبر المجتمع، وهنا تبرز أهمية الضوابط القيمية والأيديولوجيات.

لقد تطور "استعمال العنف" في عصرنا الحديث؛ بعد أن كانت "السلطة" تمارس عنفاً "مباشراً وحالصاً" عبر استخدام المرتزقة والنهب المباشر والسلب والاحتلال وفرض الضرائب

والخارج... فإن العنف الحالي في "السلطة الحديثة" يَتمثّل في إيجاد "أرضية قانونية" حديثة تُقْنَع العنف وتنطلق من خلاتها، لأن ديمومة انتاجية "العنف المباشر" انهارت تحت وطأة متغيرات العصر الحديث، ومع ذلك فإن "السلطة السياسية" تُخرق الحدود "القانونية" التي وضعتها لنفسها عبر الحروب التي تصبح "ممكنة" وفق تصورها بواسطة شروط معينة.

إن الدولة إذن هي عبارة عن كيان سلطوي اعتباري مجرد له وجود اجتماعي ومحسوس، مثلها كمثل القيمة الشرائية للنقود الورقية، وهي عبارة عن مجموعة علاقات متراقبة تمثل في إدارة الواقع، وهي بذلك ليست جوهراً صرفاً ولا ممارسة خالصة؛ وإن حاول البعض ربط الدولة بالمفاهيم المجردة كالقانون والدستور والعدالة... فيما حاول البعض الآخر توصيفها بدولة المؤسسات وشكلها من تكنوقراط أو بيروقراط... ولكنها كمفهوم تظل متارجحة بين المجرد والمادة، وتتخذ من "العنف" و"القمع" المنظم أداة لتسخير إرادة "الهيمنة".

لا نريد بحاول من الأحوال من خلال هذا المقال ان ندين "مفهوم الدولة" ونربطه بـ"العنف" بإحكام، فمن المتعذر ان نجد واقعاً لا "سلطة" فيه. غير ان مشهد الأنظمة السياسية

السائلة في الشرق الأوسط يتطلب منا وقفة تأمل، حيث ان "الدولة" لا تمثل في أذهان أبنائها سوى جهازاً تأديباً ومؤسسةً "عقابية" تمارس العنف في محاولة منها للحيولة دون تطور الشعب حضارياً والانتقال به الى طور النضج والوعي الثقافي والإنساني.

رهاناًنا اليوم على "الإنسان" فعملية "التحرر" الفعلي من السلطة "الجائزة" - أي "سلطة" - لا تتم الا عبر عملية "استيعاب" العنف السليبي واعادة انتاجه "قوة ايجابية" تحترم الإنسان والكون وتجعل من "اللامعنف" شعاراً لها.

أسئلة مشروعة!

أتساءل دوماً: أليست إنسانية الكائن كافية لتسقط عنه كل جوازات السفر؟ أليست الكائنات الأخرى أكثر حرية منّا نحن البشر "المتحضرون"؟

فالطائر لا يستأذن "السلطات" كي يعبر الأجواء، والأسماك تدخل المياه الإقليمية للدول دون استئذان، والحيوانات البرية تجتاز "الحدود السياسية" دون جواز سفر، والشمس تُشرق على الجميع والعشب ينمو حتى فوق ركام القنابل!

وما هو الوطن؟؟ وما هي الجنسية؟؟ ما هو هذا الكيان الذي
نلهمت ورائه باستمرار ودون وعي نطلب منه "الاعتراف
ال دائم بنا"؟

وهل يعقل أن ننعت من يسكن (المصنع) باللبناني ومن
يقطن (جديلة يابوس) بالسوري¹؟ وهل يعقل أن نصف من
يعيش في الضفة الغربية بالفلسطيني ومن يعيش في الضفة
الغربية بالأردني؟

وهل يعقل أن نرغم القبائل التي تنقلت عبر قرون تحبوب
جزيرة العرب على تقسيمات "سياسية" إحداها تعيش في عُمان
وأخرى في قطر وثالثة في الإمارات ورابعة في الكويت وخامسة
في السعودية... وهم أبناء عائلة واحدة وجدّ واحد؟ فيمُنح
البعض "جنسية" فيما يبقى الآخر تحت مسمى "البدون"؟؟
فما هي الأسس والمعايير التي تقسّم البشر وتحولهم إلى
تجمعات "عنصرية" تحت مسميات "شرعية" تسمى زوراً
بـ"الدول"، وهم على الحقيقة أخوة وأبناء أم واحدة
وكوكبٍ واحدٍ؟؟

1 المصنع: قرية لبنانية تقع على الحدود السورية - اللبنانية
جديلة يابوس: قرية سورية تقع على الحدود السورية - اللبنانية

إنها تقسيمات اخترعها الكائن البشري "الأكثر عنصرية وغباءً" ليمارس فيها "فوقيته" و"استغلاله" لآخرين عابشاً بالطبيعة ومشوهاً البيئة و"مستعبداً" لمن هم "أقل منه نفوداً" مدخلات الشعوب والأرض في خرم تقسيماته العرقية والاثنية والطائفية.

وهل يُعقل أن تُرغم الإنسان على تشويه فطرته السوية وصبغته الربانية من خلال اعتناق مذهب او "دين" لم يختاره وان يُزجَّ به في حروب تبيد البشر والحجر والشجر تحت مسمى "حروب مقدسة"؟

أليس الخلق كل الخلق عيال خالقٌ كريمٌ واحدٌ؟؟
"قساة هم البشر (إذن)، لكن الإنسان رحيمٌ"!¹

1 رابندرانات طاغور، طيور شارفة، مرجع سابق، ص 50



الاقتصاد والعنف (ما في الاقتصاد المعلوم)

لا نريد أن نقف من مفهوم العولمة موقف المعادي الرّافض فهي ليست شرّاً محسّناً أو فزّاعة ينبغي تجنبّها، كما أنّ انتقاد "العولمة" الجامحة الغير منضبطة يجب ألا يوقعنا في فخ الأيديولوجيات والأصوليات، فالعولمة أحدثت بلا شك واقعاً خصباً لتبادل الخبرات المعرفية والتلاقي الفكري فاتحةً مجالاً رحباً للتعاييش الإنساني الخلاق.

وقد رحب بعض المفكرين منذ مطلع التسعينيات بـ"فتورات العولمة" معتبرينها مفصلاً مهماً للانفتاح الحضاري.

يقول علي حرب في هذا السياق: "إن امبريالية الأسواق الحرة التي يفرزون منها على مصالح الشعوب، هي أقل بكثير كلفة، دماءً ودماراً، من المشاريع التي طرحت شعارات التحرر والتقدم الاجتماعي أو السياسي، فإذا بها تُنبع الكوارث على الصعيد الوجودي، بقدر ما ترجمت إلى أنظمة شمولية أو إلى معسكرات بشرية راح ضحيتها الآلاف المؤلفة، مشكلة بذلك الوجه الآخر للفاشیات القومية والأصولیات الدينیة التي تسعى وراء أحلام مستحيلة حصیتها سحق الشعوب وتدمیر المجتمعات، تحت راية الدفاع عن الهوية أو مقاومة الغزو" ¹

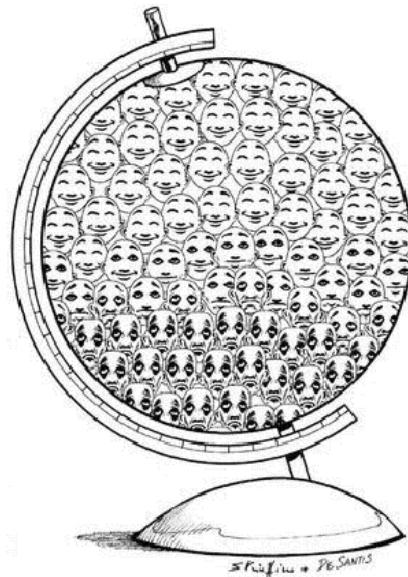
بيد أنّ هذا الاحتفاء بالعولمة أخذ يتراجع مع بروز جشع السوق الرأسمالي المبني على المفهوم السلبي للإقتصاد الذي يُشكل مسرحاً دراماتيكيّاً للعبة رأس المال، لا سيما بعدما انفجر أزمة مالية مدوّية واضعاً خبراء الإقتصاد أمام إشكاليّة حقيقةٍ جعلتهم يعيدون النظر في الاستراتيجيات، فيما يشهد العالم تدهور ونكوص حادّ يحمل في طياته بذور فوضى في ظل جهودٍ دولية للملمة التداعيات.

¹ علي حرب، تواطؤ الأصدقاء، الآلة الحد وخراب العالم، منشورات الاختلاف، ط. 2008، ص 256.

علي حرب، حديث النهايات، فتوحات العولمة ومتازق الهوية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2000.

فهل ستنتج المسعاري لتوفير رخاء البشر في ظلّ غياب
الإنسان؟! وهل السبب يكمن في العولمة نفسها أم في أنسابها
وتطبيقاتها؟

إن العولمة الحالية " بشعة أنانية" بيد أن العولمة كمفهوم
إيجابي يحمل الكثير من القيم الإنسانية وفن التعايش،
ونحن كبشر نخرون بين عولمة الانانية الشرسة وعولمة
الإنسانية السمحنة!



عولمة الأنانية و مafia الإرهاب

أحدثت "الثورة الصناعية"¹ عالمة مؤلمة في تاريخ الإنسان، حيث عملت على توليد "أنوبية مادية"، بالغت في جشعها و تبلورت على شكل "رأسمالية مطلقة"، حيث تشكلت مجموعة صغيرة من "الأنواع" امتلكت كل وسائل الانتاج، فيما أصبحت الكثرة مجرد أرقام عاملة في دولابها، مكرّسة بذلك نوع من الاستغلال لم تشهده الإنسانية من قبل.

¹ ندرة اليازجي، فلسفة الإنسان الثائر، مرجع سابق، ص 75 وقد تناول بعمق الأزمة التي أحدثتها الثورة الصناعية معتبراً أنها نقطة سوداء بتاريخ الإنسانية.

وبحسب إحصاءات المنظمات المعنية بالاقتصاد العالمي فإن نسبة قليلة من الناس لا تزيد عن 20% تتمتع بـ 80% من الثروة، فيما تراجعت حصة الـ 20% الأدنى إلى ما دون 4,1%، فيما "النظام العالمي" الحالي هو الأداة المكرسة للحفاظ على هذه القسمة المجنحة لضمان تلك الامتيازات للأثرياء، وكل القلق الذي تبديه بعض الدول من امتلاك دول جديلة للسلاح النووي مرده إلى الرغبة في إبقاء الجحور على حاله وابقاء الامتيازات السلطوية ومصادر الثروة في العالم تحت سلطتها.

ومنذ مطلع التسعينيات من القرن العشرين، حذر الكثيرون من علماء الاقتصاد من الآثار السلبية المدمرة بالبشرية جراء "الاحتكرات" والظلم الذي أطلقه "النظام العالمي الجديد"، حيث أدت "الليبرالية الاقتصادية المطلقة عن الشروط" التي طالبت بتحرير التجارة الدولية من كافة القيود، وتحرير حركتها وتحويلها من القطاع العام إلى الخاص، إلى تحويل العالم والدول إلى "مجموعة شركات" متنوعة الجنسيات، يملكونها في معظم الأحيان "الحكّام" الذين يخوضون الحروب لضمان "أسواقهم"؛ وفي دوامة من العنف تدور رحى الحرب بين أركان العنف حيث يسيطر أصحاب الشركات ورؤوس

الاموال، على مراكز صنع القرار التي تحكم في الاقتصاد العالمي وتحرك الاستراتيجيات العسكرية، وكل ذلك على حساب الشعوب. إنها ببساطة تحويل الدول الى "mafias إرهابية"!

فماذا ينتج عن عمل المافيا هذه؟ نجد ان الوسائل والنتائج ستكون "عنيفة" بلا شك، ونسجل في هذا السياق النقاط التالية:

اولاً: تراجع الديمقراطيات في كل دول العالم: فالنظام العالمي والعملة الاقتصادية العدُو الأول للديمقراطية، لأن كبرى الشركات تعمل على إزاحة السلطة السياسية أو شرائها، وتصبح القاعدة "كل فرد وله سعره"، فالناخبين هم موظفون في شركات "الرئيس" المنتخب! وهم من يهتفون له في حملاته الانتخابية، ويصبح التنافس على السلطة السياسية في الانتخابات مجرد تنافس على النفوذ الاقتصادي والامتيازات المادية.

ثانياً: تكريس الصراعات والأعمال العسكرية: بما يضمن "فتح" اسواق استهلاكية جديدة وتحريك "الركود" في سوق الأسلحة، وتحقيق المكاسب الاستثمارية بالدول المنكوبة، وإعادة توزيع إدارة الثروات من جديد بما يضمن استمرارية عمل المصانع وحصوها على المواد الأولية.

ثالثاً: تدمير البيئة: بشكل مباشر وغير مباشر عبر استنزاف الموارد الطبيعية واستخدام الاراضي لطمر النفايات السامة واستغلال الثروة الخضراء وانبعاث الغازات السامة المسية للاحتباس الحراري.

رابعاً: انهيار الإنسان وحقوقه: وهو تحصيل حاصل لمنطق الاحتكار، فالإنسان ككيان روحي ونفسي متكامل لا مكان له في هذه المنظومة المادية، وهو مجرد "رقم استهلاكي" على جدول الاقتصاد العالمي يتم التعامل مع صورته المادية فقط وبعده الجسدي، وتصبح المرأة فيه كائنا سليكونياً غبياً مستهلكاً يتحقق المتعة لاهماً وراء عمليات تغيير الخلق، والرجل فيه "إلهًا" يسعى لامتلاك "المال" المؤدي للسلطة الجانية للأرباح!

خامساً: الدعاية والاعلام المُضلّل: التي تُشكّل الخيط الرابط الذي يتخلل شتى اعمال العنف، حيث انها تخضع بالكامل لسلطة "رجال الاعمال المعلين" الذين يوجهون الأحداث الخلية والعالمية والسياسية والاقتصادية بما يتناسب مع مصالحهم! فتُلّون الاخبار وتُبَدِّل الأحداث وتُنَقَّل المفاهيم ويتصدر الاعلامي النجم المطيع لاستراتيجية "فضائيته"، ويصبح الإنساني الوعي في خبر كان!

إن مجتمعنا البشري مريض لانه يدور في دوّامة العنف الدائم وينتقلُّ الكراهية والخوف كلّ يوم، فأنظمتنا الاقتصادية واستهلاكنا الجشع وضجيج أنكارنا وبراجمنا التلفزيونية والسينما والأخبار وغيرها، كلها تسقي بدور العنف وال الحرب على الدوام! لقد تقبل البشر العنف كطريقة حياة! إنها الكارثة!

فكيف تكون البداية؟

إنْ مهمتنا الأكثَر إلحاّنا هي تنمية الوعي وال بصيرة الصائبة عبر ممارسة الانتباه والتأمل، وعلينا التمعن بعمق بكل ما نقوم به...فإن لم نقم جوهر اللاعنف والرحمة في دخيلة نفوسنا فلن نقم أبداً على الأرض.



عنف السياسة والاقتصاد: مشهد دراماتيكي!

إن طرح اشكالية النظام الاقتصادي العالمي يُحتم علينا أن نتساءل بجدية عن طبيعة تلك العلاقة الجدلية القائمة بين "الدول النامية" و"الانظمة العالمية" وكيف "ان الانظمة التوتاليتارية" الشمولية في العالم الثالث التي تدعى "الاشتراكية" كانت هي الشريك الاول في "الرأسمالية السلبية" والعلومة والوقود الداعم لها فيما هي المتضرر الأكبر من سلبياتها؛ فأين يقع أبناء هذه المنطقة على خريطة "نظام الاقتصاد العالمي" وما هو مدى تأثيرهم به؟

بطبيعة الحال فإن السياسات الخارجية وال العلاقات الدولية خضعت لا سيما في الأعوام الأخيرة لسلطة ومصالح "الشركات العالمية العملاقة"، وتشكلت المحاور الإقليمية والدولية على أساس اقتصادي تجاري أكثر من مقتضيات التضامن الدولي تجاه الشعوب لا سيما تلك التي تتعرض لانتهاكات حقوق الإنسان، وهمش دور الأمم المتحدة وتراجع أداؤها! وشنت الحروب خلف قناع مكافحة "الإرهاب"، في وقت كانت هذه الدول تريد ضمان مصالح اقتصادها وتسويق أسلحتها فيما تذرعت بالشعارات "الإنسانية" وقد اشرنا لذلك في الفصل الأول من الكتاب.

إن النظر بذكاء وروية لمنطق الأمور يحتم علينا إعادة النظر في منظومتنا "الاقتصادية - السياسية"، بالكامل ولا نظنن أننا في ظل ممارسات بعض الأنظمة العربية الموجودة حالياً يمكن أن "نسلّم اقتصادياً" فالاقتصاد لم يكن يوماً بعيداً عن السياسة أو منفصل عنها، وهذه الأنظمة باعت الإنسان ومصالح شعوبها ورعاياها بالجملة والمفرق منذ زمن بعيد، من أجل الحفاظ على الكرسيّ وهي قبضت الثمن سلفاً وعلى "دایر باره"، فـ"الحكام" في هذه الأنظمة يحكمون وهم على فراش المرض

العusal والموت الزؤام، وما من أحد يمُزحُّهم عن عروشهم!
ويود أحدهم لو يعمر ألف ألف سنة!

لا شك في أن الدول الراعية "للعولمة الرأسمالية" حرمت
كلَّ الحرص على ضمان استمرار "الانظمة الشمولية"
و"الانظمة القبلية" في منطقتنا، لأنها حققت بذلك مكاسب
جمة أهمها:

أولاً: توقيع العقود التجارية والاستثمارية والتي حولت
المنطقة إلى السوق الاستهلاكي الأول في العالم.

ثانياً: وضع الدول بحالة تبعية غذائية من خلال السيطرة
على المحاصيل الزراعية وتصنيعها، في ظل غياب الأمن الغذائي
والدوائي عن مشاريع التنمية العربية!

ثالثاً: الاستغلال السيئ للبيئة والموارد الطبيعية: فالدول
الصناعية تستخدم دول العالم الثالث مكباً لنفاياتها السامة،
ومكاناً جيداً لانشاء مصانعها في ظل انخفاض أجور اليد العاملة
وتنامي عماله الاطفال علاوة على أنها تحيي أراضيها عن التلوث
البيئي فتنقله بمشاكله إلى اراضي الآخرين!

رابعاً: تحول الانظمة "الحاكمة" في الدول إلى شركات:
ففي الوقت الذي أعلنت فيه "الدول النفطية" تحالفها

الصريح والواضح ومنذ البداية مع "النظام العالمي الجديد" وكانت لاعباً أساسياً في العولمة الاقتصادية؛ وهي منذ البداية تعتمد "نظام قبلي" في الحكم يكرس مبدأ "سلطة الزعيم المالك للملال" ، فإننا نجد ان الدول العربية الأخرى التي ادّعت طيلة سنواتها الماضية أنها "ديموقراطية" واتّهمت الآخرين بـ"الامبرالية" وتغّلت بـ"الاشتراكية" ردحاً من الزمن! قد تحولت بعضاً سحرية الى "الخاصة"!

فالدول العربية كلّها بما فيها الاشتراكية والبعشية واليسارية تحولت الى "شركات خاصة" يملّكها "الزعيم" وتوابه؛ وأصبحت الاشتراكية عرين الرأسمالية وأمست الدول الشمولية متراساً لفساد الرأسماليين، وفي صورة غريبة غير مسبوقة صار النظام الجمهوري نظاماً ملكياً يورث!

إذن نحن امام انظمة اختلفت شعاراتها وتنوعت مصلحها غير انّها كلّها في دوامة العنف تقع ولها تك حقوق الإنسان تعمل.

أما من الناحية الاقتصادية فكلّها مرتبطة بشكل او بآخر بمنظومة العولمة السلبية ولا شك في أن آثار الأزمة المالية واضحة المعالم، وان محاولة بث الاطمئنان في نفوس العباد من خلال

"الاعلام الموجه" من قبل السلطات " واستضافة" اقتصاديين قبضوا ثمن مقابلتهم التلفزيونية "سلفاً" قبل ان يدلوا بدلولهم ويبشروا الناس بان "الاجواء الاستثمارية" ممتازة، وان الاوضاع المالية على احسن ميرام، لا يغنى عن حقيقة ارتباط "المصارف العربية والخليجية" بشكل عضوي بـ"المصارف الام"، وان انهيار الاخيرة سيؤثر عليها حتماً، علاوة على ارتباط العملات بالدولار بشكل مباشر وان انهياره يعني تأثيرها، فباتت سعر الصرف لا يلغى حقيقة فقدان القيمة، إضافة الى تأرجح أسعار النفط وأحوال البورصات وانهيار اسعار الاسهم الذي لا يخفى على أحد.

يقول غاندي: "لا يمكن للغاء استغلال الفقير بمجرد تدمير حفنة من أصحاب الملايين، وإنما بإزالة جهل الفقراء وتعليمهم كيفية الالتعاون مع مستغليهم، مما يساعد على تغيير المستغلين أنفسهم. هذا سيؤدي إلى ان يصبحوا شركاء متساوين. فرآس المال بحد ذاته ليس شرًا إنما الشر يكمن في سوء استعماله "¹

1 المهاجم غاندي: هاريان، 28 يوليو 1940 ص 219.



الاعلام والعنف

متاريس الفضائيات في عصر الصورة¹

"إنكم تتكلمون عنديماً تُوصِّدُونَكم أبوابَ السلام مع أفكارِكم" ²

جبران

لا شك في أننا كشعوب نُتقِّن فَنَّ الكلام ونفتخر بأننا
صنَّاعَ الحرف والخطب العصماء والمعلقات، فمؤمناتنا السياسية
بما فيها القمم وندواتنا الفكرية أمست عبارة عن "مَكْلَمة"

1 بالامكان العودة الى كتاب المؤلفة المعنون: أفكار متمردة في الفكر والثقافة والسياسة، الصادر عام 2008.

2 جبران خليل جبران، النبي، مرجع سابق، ص 146.

تداعب انفعالات الشعوب وتسكن آلام الأفول والارتكاسات الفكرية والعملية على حد سواء؛ ولعل وسائل الاعلام والفضائيات تُعد أحد أهم منابر دوامة المكلمة تلك.

وئمة مراحل مفصلية في عمر الشعوب لا تمحوها الأزمنة وتعاقب الأيام، ولعلنا في زمن بلغ الدمار مداه حتى استحق هذا العصر لقب "عصر العنف" بامتياز الذي تبلور من خلال تجليات عدّة.

في عصر العنف هذا يضعف إعلام المنبر وتضمحل ثقافة الحوار وتتلاشى الصحافة الحقيقية الحرة، والسبب الرئيس هو سيطرة متاريس عنف الفساد الاعلامي التي تتجلّى عبر نماذج تعد الأكثر رواجاً والأكثر رجحاً على الشكل التالي:

فضائيات الإرشاد اللاموتي والعقائدي وهو "إعلام الكبت" ورفض الآخر: الذي يكرس الخطاب اللاموتي الدوغمائي والذي غالباً ما يضع الامور في إطار المحرمات والغيبيات التي لا تُناقش. وتشهد اليوم هذه الفضائيات انتشاراً منقطع النظير كما أنها تكرس الانقسامات "المذهبية" و"الطائفية" بشكل صارخ وجارح.

فضائيات السُّخُف والتسطيح و"إعلام العري السُّلُبِي" وهو اعلام "الكبت المضاد": الذي لا يشكل في حقيقة الأمر

سوى صورة أخرى مضادة للكبت السياسي والجنسى والديني وهو بمثابة متنفس للشباب اللاواعي ولاحتقان الشعوب من رداءة الوضع القائم، وتُكثِّر هذه الشاشات من عرض كل ما هبّ ودبّ بغض النظر عن أيّ مضيمون فكري، بحيث يجد المشاهد نفسه أمام نسخ متعددة من راقصة وبسماء متنوعة "يرقصن بانفعال" مستمر مفزز وقد تكفل السيلكون بتفخ الشفاه والاثداء وتتكلفت عمليات التجميل بقص الطويل من الانوف وشد المترهل من البطون وشفط الزائد من الدهون.... ويجد الشباب متنفساً للكبت والقمع السياسي والاجتماعي عبر متابعة الصخب تحت مسمى موسيقى وان كانت عارية عن أي لحن او فنّ.

فضائيات الإعلام الرسمي الموجه أو "الإعلام الوصائي": التي تحرص على تقديم المُع صورة للسلطة السياسية الحاكمة... فالدول العربية كلها مازالت تعتمد بشكل مباشر عبر قنواتها الرسمية او بشكل غير مباشر عبر القنوات الأخرى من خلال "المساهمة المادية في رأس مال القناة"، وتعمل هذه القنوات على التسبيح الدائم بحمد "الزعيم" وابنائه والتهليل والتكبير له ولإنجازاته العمرانية والاقتصادية والإنمائية والرياضية...

حتى يُخيل للسامع بأنه امام شخصية "اسطورية خارقة" بحيث يستحيل على العقل السليم قبل كل تلك الانجازات العظيمة مجتمعة في شخص واحد!

فضائيات الاعلام المتحزّب العنصري او "اعلام الحدار"
وهي الفضائيات الإخبارية التي تمنح نفسها حق مصادرة الحقائق واطلاق الاحكام وتخوين الافراد والمجتمعات واعلان النتائج... وقد تكاثرت هذه الفضائيات في الآونة الاخيرة، وتتجلى واضحة في الدول ذات التعدد الطائفي والمذهبي حيث يبدو افراد كلّ حزب وفضائية بما لديهم فرحة....



ضجيجٌ ضجيجٌ!

ضجيجٌ حالنا وحال اعلامنا... في طلبنا نفرط في التفكير ونفرط في الكلام، نتكلّم (مع انفسنا ومع الآخرين) نخلل نتفلسف طوال الوقت. كلمات كلمات... ضجيجٌ ضجيجٌ... ما أحوجنا إلى الصمت كي نرى!

"إذا نظرت إلى شجرة فرأيت شجرة فأنت لم تر الشجرة حقاً.

أما إذا نظرت إلى شجرة ورأيت معجزة، إذ ذاك أخيراً، فقد رأيت!"¹

1 أنتوني دو ميلو، أغنية الطائر، سلسلة الحكمة 3، ترجمة أديب خوري، دمشق سوريا، ط 2000، ص 33



شاشة القمامنة تسوق ثقافة العنف

النماذج الاعلامية وان تمايزت صورها من "اعلام الكبت العقائدي المؤدلج" إلى "اعلام الكبت المُضاد التافه" إلا انّها جميعها ولدت من رحم اليأس والاستسلام والانعزال وتعمل على تكريس الذهنية الانفعالية وتسطيح الكائن الإنساني وتحويله الى سلعة، وأمست الشاشة مستوّعب نفaiيات فكرية وفنية على السواء، وتحول

دورها من أداة فاعلة في الحوار بين الثقافات، إلى أداة تفتيت مدمرة تغزي العصبيات والعنصرية والمذهبية والعرقية حتى ضمن الشعب الواحد، وما مشهد الاعلام العراقي واللبناني عنا بعيد، فالخطاب الاعلامي الحالي يساهم بشكل مباشر في إنتاج مجتمع مشحون طائفياً ويجوله إلى أرض خصبة للحروب الأهلية، بحيث أصبح اعلام القمامنة العنصري أداة تسويق لثقافة طاعة الأيديولوجيات المتصارعة والمذهبيات المتناثرة.

كما وقعت معظم الفضائيات في التكرار والتشابه في لحظتنا الثقافية وامست البرامج متشابهة إلى حدٍ بعيد، في ظل تكرار الضيف الرمز نفسه وفي ظل شيوخ نمط الإعلامي الجاهز المتورط بإعادة إنتاج ظاهرة المواقف المكررة، وأمسى الإعلامي -خصوصاً في الفضائيات العربية المشهورة - يُمارس عقلاً مركزاً تكرست عوامله الوجودية والإجرائية بفعل الخسارة عوامل ثقافة النهضة على حساب ثقافة الشك بالآخر التي تلقى رواجاً كبيراً في زمن الانكفاء على الهوية.

إن سمات الاعلام العربي اليوم تتميز بالاستعراض على حساب الموضوعية، والردد على حساب النقاش، والتخوين على حساب حق التنوع والتعدد، والتضخيم والتهويل على

حساب التقييم والنقد، والاتهامات والشتائم بدل الدلائل؛ هذه السمات منبعها احتقار الإنسان وحقه في الاختلاف تحت شعار حرية الذات أحياناً، في حين أن التعاقد الإعلامي الديموقراطي الحر يفترض أن الحرية ليست مسؤولية تجاه أحد ما، بل هي مسؤولية بحد ذاتها.

وتبقى التساؤلات: أي متوج فكري تريده وسائل الإعلام أن تقدم في عصر أمسى التحكم بالمعلومة أمراً مستحلاً؟؟؟ وهل هذه الوسائل المنتجة لعقليات منفتحة مبدعة قادرة على خلق فرص التعايش والمشاركة في البناء السوسيولوجي والعمل السياسي؟؟؟ وهل تساهم مساهمة فاعلة في تطوير وتنمية الفكر النقدي، والتفاعل الحضاري وطرح القضايا بشكلها العقلاني؟؟؟؟ وكيف يمكن أن تعمل وسائل الإعلام على الانعتاق من أسر المعلنين للحفاظ على الموضوعية.

وأين الإنسان في إعلامنا الصاحب والمؤدي؟

إننا نحتاج إلى إعادة بلورة برامجنا للانتقال بها من طور السلبية الفكرية إلى طور الفعل الحضاري ونشر الوعي والارتقاء بالإنسان من مستوى الغرائز إلى مستوى التحليل والوعي،

وذلك لا يكون الا من خلال إنقاذ السياسي من خرابه الدييدولوجي، والثقافي من أزمته الفكرية الحادة، وانقاذ الاعلامي الميديائي من تكراره، واجتذاب بيئة تهيئة العوامل الموضوعية لتنمية فكرية وعملية منتجة، للنهوض من حالة الاستسلام الفكري الى حالة المعرفة ثم الى مرحلة الوعي فالابداع فالارتقاء.

وإذا ما أمعنا النظر والتفكير في شؤوننا وألام شعوبنا المثقلة بالتخلف وأعباء التشرد والمرض لوجدنا أن هناك استسلام للعجز ونقص حاد في درجة الوعي وتراجع فكري واضح، فهناك قاسم مشترك عند كافة الشعوب "المتخلفة" هو العجز عن إدراك المنظومة الطبيعية والقانون الذي يحكم البيئة، وهو أمر جعلها تقف خلف متراسها الثقافي الديني في صراع داخلي دائم مع تعدديتها الأصلية، ربما "الثورة" على هذا العجز أي مغادرة واقع العنف، تعد الحرك للتحرك والاقبال على اكتشاف مكونات الكون من خلال استقراء علمي معقلن، فجوهر الحريات هو تحدي العنف والقمع بما فيه الفكري والخلص من العصبيات، وعندها يسكن السلام أفكارنا.

ربما كلنا معنيين في رفع شقاء العنف عن انفسنا والمسؤولية لا تقع فقط على وسائل الإعلام، بل على كافة

مفردات التركيبة المجتمعية، فتحول عندها إلى أداة للابتکار والإبداع والخلق لا أداة للتضليل، بالإضافة إلى أداء وظيفتها في مناخ تسوه حرية الرأي والتعبير، وتشارك فيه كل الكفاءات القادرة على الإبداع والتجديد والتواصل مع الآخر، وهو ما يوفر فرصةً اخراطٍ متوازنٍ ومتكافئٍ في ما يصطلح عليه بـمجتمع المعلومات.





اللاعنف خيار الإنسان الوعي

ان اللاعنف هو بلورة لأقصى درجات الإنسانية وأرقاها وهو يُجسّد مانعة حقيقة صارمة، من خلال الالتعاون مع كافة الأشكال المؤدية الى الظلم ومنها ثالوث العنف؛ إن التجارب الإنسانية على مر العصور أثبتت ان أفقها غير محدود ولا متناهي، فمن المكن الانعتاق من دوامة العنف عبر الوعي الإنساني والخبرة الروحية الموجودة أصلا في أعماق كل كائن إنساني.

فعندما يرتقي الإنسان بوعيه¹ ويتطور، ينتقل من مرحلة معرفة الحقائق إلى اختبارها المباشر فتسقط الحاجة لديه لإثبات تفوقه و ممارسة ما يعرف بالسيطرة، لأنها ارتقاء بالوعي البشري من المستوى الغرائي اللاوعي المنفي على أن السلطة هي القوة والقوة تصنع الحق، إلى مستوى الوعي القائم على أن الحق يقرره التحليل والعقل لا القوة، و تتحول الأمور من صراعات شخصية تهدف إلى مجرد التفوق على الآخرين إلى إرساء مبادئ إنسانية تهدف إلى البحث الحيث للوصول إلى السلام.

وفي المرحلة الأعلى من مراحل الارتقاء عبر الوعي الأعلى للوجود حيث يتجاوز الوعي الإنساني المادية السياسية لتصبح فنًا للخدمة ولادارة أعمال مبادئ العدالة وتنمية ثقافة اللاعنف والابتعاد عن أشكال الاكراه كافة، لأن إرادة السلام لا تكون برفض الحرب بل في رفع كل أشكال الظلم.

1 للتوسيع في علاقة السياسة بالوعي، العودة إلى مقالة المؤلفة المعروفة: السياسة والغريرة في عصر الإنسان الأدنى، أفكار متمردة في الثقافة والسياسة والفن، دار شمس، القاهرة، مصر، 2008



نحو عولمة بديلة عولمة مملكة الإنسان، عولمة السلام

يقول جان ماري مولر: "ليست العولمة في حد ذاتها هي التي ينبغي اتهامها أو إدانتها. لذا فإن من الأهمية بمكان ألا تقتصر حركة مقاومة مساوئ العولمة على مجرد رفضها. إذ لا بد هنا من طرح عولمة "بديلة" ¹ alter-mondialisation

أمام انهيار أسطورة العولمة الاقتصادية المطلقة كيف يمكن رؤية الاقتصاد والسياسة من خلال الإنسان؟ وكيف يمكن جعل

1 جان ماري مولر، قاموس اللاعنف، مرجع سابق، ص 209، 211.

العولمة فرصة حقيقة للانطلاق نحو تقرير الشعوب وحشد الطاقات من أجل سيادة الإنسان وحقوقه.

إن الممانعة المدنية تفترض إعلام "السياسة" علناً وبشكلٍ مباشر، بضرورة تبني منظومة اقتصادية تُحقق الحد الأدنى من العدالة الاجتماعية، منظومة يكون الإنسان محورها وهدفها تحقيق حقوقه، والعمل بتكاتف كي لا يحتكر البعض منافع الثروة، وان تُوزع المغانم بشكل عادل دون ان يُلغى مبدأ الملكية، وذلك لا يتحقق إلا من خلال إقامة منظومة سياسية إنسانية، قوامها الديموقراطية وترتکز على مبادئ أخلاقية لاتغفل عمل الروح، واعطاء معنى جديد مغاير لذلك السائد القائم على "المادة فقط".

إذن نتطلع الى عولمة القيم الإنسانية وعولمة السلام القائمة على احترام الإنسان وحربيته وحقوقه، واحترام الطبيعة والحفاظ على البيئة، وتحقيق السلام، وادراج الأخلاق في العمل السياسي والاقتصادي، رأساً لها الإنسان الحر... فلسفتها تقوم على كونية الإنسان... وهدفها تقرير شعوب العالم وتلامس انظمته وتساندها وتناغم ثقافاته وتحقيق أكبر مشاركة مُمكنة بين شعوب الأرض.

وتظهر مقومات العولمة الإنسانية البديلة في نقاط يتأسس
صوغ فلسفتها حول أن على الاقتصاد والسياسة أن يكونا في
خدمة الإنسان لا العكس.

أنسنة السياسة:

- تعد السياسة وسيلة جيدة لتحقيق غاية نبيلة، وهي إدارة الشؤون المدنية على وجه عادل ينسجم وقبل كل شيء مع القيم الوجودية للإنسان.
- يكون العمل السياسي عمل خدمة وحسب، وتكون الفئة المشتغلة في السياسة هي الأكثر حكمة ووعياً وخبرة وخدمة، فالسياسيون بهذه الصفة نخبة من الحكماء الشديدي التواضع والأكثر رحمة واحلاصاً للمبادئ الوجودية والإنسانية، وبالتالي فإن دورهم يتجسد بمواكبة فعالية تطور المجتمع ومساعدته لبلوغ رقيه الإنساني، عبر إرساء المفاهيم الأخلاقية الاليجابية بروحية عادلة تتجاوز كل إكراه وعنف.
- يهدف عمل الادارة السياسية الى الحفاظ على كرامة الإنسان بالدرجة الأولى وحقوقه الإنسانية والكونية أيضاً، بما فيها حقه في التنقل الجغرافي بين الدول وحقه في الانتماء لأكثر

من وطن، كونه إنسان كوكبي، وان انتماه للأرض يتجاوز كل الحدود "الوضعية" المرسومة والتقسيمات الجغرافية والجيوسياسية المزعومة؛ وبما ان الإنسان يمثل كلية الوجود فإن الاعتداء على كرامته وكرامة البيئة خط أحمر.

- الفيلوديموقراطية: وهي ديموقراطية متطرفة تهدف الى غاية إنسانية وأخلاقية نبيلة تتوجهها الحبّة والإخلاص والعمل الرصين¹، وذلك عبر إضفاء الأخلاقيات والوجودانيات على روح السياسية، ومساعدة أكبر قدر من أفراد المجتمع على المشاركة، لذلك فهي ليست ديموقراطية أكثرية بل ديموقراطية مشاركة حقيقة ترى في كلّ إنسان أهل للتكرّيم. الحرية مبدأ إنساني محوري، والأولوية تكون لتحرير البشر ماديّاً ونفسياً ليكونوا على تناغم مع الكون ومع الطبيعة ومع أنفسهم ومع مجتمعهم، لأنّ الذهنية المثقلة بالاحكام المسبقة عن الأمور عصيّة على الحرية الحقة.
- السلطة في هذه الحالة متعددة الأبعاد والمستويات، فلامكان للقائد الواحد أو الزعيم الفرد في ميدان السياسة الإنساني.

¹ ندرة اليازجي، الاشتراكية ومفهوم العدالة، دار الغربال، دمشق سوريا، 1963.

- الایان بوجوب عدم التقيد "الحرفي" بمنهج عمل "واحد" في السياسة، بل الانفتاح والحكمة هما مفتاح العمل الهدف الى مساعدة افراد المجتمع للعيش بأمان وتحقيق سلامهم مع أنفسهم ومن ثم اشقاءهم في الإنسانية.

أنسنة الاقتصاد :

- إدارة الموارد الطبيعية والبشرية بشكل جيد حسن.
- التوزيع العادل للثروات والانتاج المخطط، لأن الرفاه الحقيقي العادل لا يتحقق بحرمان الآخرين منه. وتحقيق العدالة النسبية من خلال توزيع عادل للمكاسب الاقتصادية، والعدالة هنا لا تعني "التساوي" بطبيعة الحال
- حماية الموارد الطبيعية والبيئية، فمسؤولية حماية كوكبنا الأرضي مسؤولية وجودية لا تهاون فيها أبداً، وعليه فإنه يتوجب علينا إعادة النظر في استهلاكنا المحموم للوقود وفي عمل مصانعنا الملوثة للبيئة، والبحث بجدية عن مصادر نظيفة للطاقة وانشاء المصانع الخضراء واحياء الحرف اليدوية البسيطة مجدداً.
- حماية الموارد البيولوجية وعدم العبث بمحروقات جنسنا الجينيّة و الجنس المخلوقات الأخرى، لأن أي خلل جيني يصيب الكائنات الأخرى ينعكس حتماً على البشر.

- الزراعة ينبغي ان تتم بشكل عضوي طبيعي بعيد عن اي تلاعيب بيئي او تعديل وراثي او محفز كيماوي، وترك الطبيعة وشأنها كي تحقق توازنها البيئي بانسجام مع الكون، كما ان العناية بالحيوان ينبغي ان ترتكز على معايير اخلاقية صارمة فمن غير المقبول التلاعيب بعذائهما ودورة حياتها الطبيعية بهدف تحقيق الارباح المادية تحت أي ذريعة كانت.
- العمل الدؤوب على تحقيق العدالة الاقتصادية عن طريق تربية الإنسان واقناعه بلا جدوى أنانيته وضرورة تضحيته من أجل منفعة كل الناس وكل الكائنات. وان احترامه للطبيعة وللإنسان يقتضي ألا يكون "مستهلكاً" فظاً للنّعم التي ينبغي على كل البشر ان ينعموا بها بحكم آدميهم، وان ثرائه لا يكون بتجويع اشقاء له في الأدمية وان رفاهيته لا تتحقق بحرق البيئة بدخان مصانعه وأدواته.
- توعية البشر لاستخدام الوسائل الخضراء "الصادقة للبيئة" في معاشهم وتبني فلسفة ان الكون جزء منا يجب العناية به.¹

1 على سبيل المثال: ان انتاج كيلو غراماً واحداً من لحم البقر يحتاج الى سبعة كيلوغرامات من الحبوب التي تحتاج الى سبعة آلاف لیتر ماء لتنموها فإن توفير قطعة لحم واحدة من شأنه ان يوفر كمية ماء للشرب تكفي لألف شخص.

- موازنة الإنتاج مع الاستهلاك، مع النّظر إلى الاحتياجات الحقيقية للأفراد والجماعات.
- تبني فلسفة قوامها ان المال موجود ليكون في الأيدي للتداول لا في الخزائن والبنوك، وان العمل كقيمة أهم من المال.
- تشجيع المشاريع الصغيرة واحياء الحرف اليدوية أكثر من التركيز على اطلاق الشركات العملاقة.

أنسنة الاعلام

إن للاعلام دور تربوي وإنساني عظيم لذلك فإن الرؤية الإنسانية لعمل السياسة والاقتصاد لا يكتمل الا بتضادف شتى الجهود، واننا نتطلع الى اعلام يتمحور حول ترجمة القيم الإنسانية عبر الكلمة والصورة من خلال ارساء قيم التسامح والمحبة والانفتاح وتعريف افراد المجتمع على عمل بيئتنا الطبيعية ومنظومتنا الكونية وابداعات المكون البديع ومساعدة الافراد على التمسك بالقيم النبيلة والذوق الرفيع والفن الراقي فتكون الشاشة كمتنفسٍ تأملٍ يريح روح الإنسان ويرقى به الى مصاف الوجود الكلي.

أنسنة التربية

التربية المتكاملة الدائمة هي التي تهتم بالإنسان بكليته، وهي تلك المفتوحة على الكائن البشري بمكوناته النفسية والجسدية والروحية والعقلية، بحيث تكون المؤسسات التعليمية مكاناً لتكامل خبرة السلام داخل الكينونة الإنسانية عبر دراسة "الكلي" في حوار بين العلم والفن والتقنية والحدس، وغط مميز لإطلاق إنسانية الإنسان، فالتفكير المجزئ لا يتوافق مع السلام لأن الاشتراطات التي يزج بها اطفال مدارس اليوم تدفع بهم نحو الصراع الدائم والعنف، لذلك يفترض ان تطرح العلوم بشكل يوازن بين التحليل والمشاعر والجسد.

أنسنة العقائد:

وذلك من خلال الوقوف بانفتاح إزاء كل الأديان والأساطير والميتولوجيا والحكمة القديمة واحترامها، وان لكل إنسان حرية اختيار ما يشاء من الأديان واعتقادها وله الحق في التعبير والتفكير، على ان لا يؤدي ذلك الى إطلاق الأحكام على الآخرين او اعتماد المعتقد الديني كمسوغ للاعتداء على إنسانية الغير، او توسيع العنف تحت اي ذريعة لاهوتية، إذ ما من مكان

ثقافي أو ديني متميز يمكن من خلاله اطلاق الحكم على الثقافات والديانات الأخرى.

لذلك ينبغي التخلّي عن كلّ الايديولوجيات وتنقية "العقائد" من كل جمود، مما يتحقق احتراماً متبادلاً بين كل الفئات والشعوب والأديان.

هو موقف يسمح بالتعرف على خصوصيات وتقدير جميع المنقولات الدينية وغير الدينية، بما يتحقق أفضل إدراك للبنية التأسيسية المشتركة للإنسانية.

إنّ موقف ليس ديني أو لا ديني، بل هو خبرة فطرية تعرف بحضور القديسي عبر حضورنا في الكون، إنّه فضاء الوحدة المفتوح في وجوه التعددية، المتمثل بضرورة التوازن بين داخلية الإنسان وسرانّيته "الجوانية" وبين خارجيته "البرانية"، لتحقيق الكينونة الكامنة فيه، مما يتّيح الحوار بين كل البشر على اختلاف ألوانهم وصورهم ومللهم ونحلّهم دون أن يجنسهم أو يختزلهم.

العولمة الإيجابية والنضال اللاعنفي

ان اللاعنف كمفهوم فلسفى عميق يطال كافة مناحي المعاش البشري انه سيرورة دائمة متطورة ورؤية منفتحة على الوجود، إنها فلسفه ونظام حياة إنسان يتنااعم مع كل كائنات الكون من الذرة وحتى المجرة، فاللاعنف ليس مجرد اعتقاد او احتجاج انه مفهوم يقلب نظرنا لحياتنا بالاستهلاكي بالكامل ليضعنا امام إنسانيتنا.

ولعل أحسن من وصف علاقة اللاعنف بمناحي الحياة واصفاً العولمة الإيجابية الأستاذ أديب خوري في إحدى محاضرته قائلاً¹:

«العولمة الإيجابية هي تلك الحقيقة العميقة... رباطنا العضوي، كوننا خلايا كثيرة في جسد واحد، وإن كان هذا الجسد لا يزال جنينا... إن النضال السلمي من أجل قضية هنا وأخرى

1 أديب خوري، اللاعنف والعولمة، محاضرة ألقاها يوم السبت 11 نووز 2009 خلال ورشة عمل جهت بعنوان "حول اللاعنف وضبط النفس"، مرمرة، سوريا.

هناك هو حقٌّ وواجبٌ... أظنُّ فوق ذلك أنَّ هذا النضال لا يقتصر ولا يبدأ ولا يُحصر بظاهرةٍ أو مقالٍ أو اعتصامٍ أو محاضرة أو رسالة احتجاج أو بيانٍ إعلاميٍّ، فكلُّ هذا، على أهميَّته يأخذ وقتاً محدداً وينتهي حتَّى ولو أعقبه نشاطٌ يماشه. أقول إنَّ النضال اللاعنفيٌ هو نضالٌ على مستوى الكوكب، وهو لهذا السبب نضالٌ على مستوى النفس، وأودُّ هنا أن أطرح بضعة أمثلة:

يعتصم دعوة سلامٍ صادقون في مدينةٍ ما من مدن العالم أمام مبنى شركةٍ ثبت أنَّها تعيد تعليب أغذيةٍ فاتت ملَّة صلاحيتها. ينتهي الاعتصام ويشعر الشَّبَّان بالجوع، يدخلون مطعمًا قريباً جاهلين أنَّ عائدِيَّته ترجع للمجموعة نفسها التي تملك تلك الشركة.

يلقي مدافعاً عن حقوق المرأة محاضرةً عن قصور القوانين وإجحافها، لكنَّ أكثر ما يلفت السامعين في محاضرته هو بزُّته الأنiqueة مع ربطة عنقٍ حريريةٍ مصنوعة في ورشات شركةٍ عالميةٍ كبرى تدور عجلة مصانعها في بعض أفقـر بلدان العالم حيث تعمل ساعاتٍ طويـلاتٍ عاملاتٍ في ظروف من أسوأ ما يكون ومقابل أجرٍ لا يسدُ الرِّمق.

تعمل منظمة ناشطة في الدفاع عن البيئة وحمايتها على تأسيس محمية. عمل يُحترم. لكن هذه المنظمة تلجم، في حاجتها لتمويل هذا المشروع، إلى شركة نفطٍ تساعدها مقابل شرطٍ بسيط: أن يوضع اسم الشركة مرّاتٍ عديدة على سور الحمية وخصوصاً على بابها الرئيسي. يجهل أصحاب النية السليمة أن هذه الشركة العالمية تلّوّث البيئة بشكل خطيرٍ وعنف في أماكن أخرى كثيرة.

كلّ من الاحتجاج على بيع أغذيةٍ فاسدة والحديث عن حقوق المرأة وتأسيس محمية طبيعية، أعمالٌ لاعنفيّة بشكلٍ أو باخر، كلّ هذا مهمٌ جدّاً، لكنه قد لا يكون الأهم. يبدأ نضالي اللاعنفيّ، أو هكذا يفترض، منذ الصّباح: بأيّ نوعٍ من الصّابون أغسل وجهي؟! كم من الماء أصرف في غسيل يديّ؟! (إذا علمنا أنّ الصّعوبات الكبرى التي تواجهها الكثير من الدول، من الآن فصاعداً، هي صعوبات توفير مياه الشرب والريّ، وإذا فهمنا أنّ ذلك يعني إمكانية نشوب حروبٍ صغيرةٍ وكبيرةٍ من أجل موارد المياه، فإنّ هذا يدلّنا على أنّ توفير الماء والاقتصاد باستعماله هو عملٌ لا عنفيّ ممتاز لأنّه أيضاً عملٌ لا عنفيّ استباقيّ!)

ما الذي أتناوله من طعام ومن أين أتسوّقه؟! ما هي وسيلة المواصلات التي أستقلّها إلى عملي، بل كيف اختار أصلًاً هذا العمل ولماذا أستمرّ به؟! إلى أيّة مدرسةٍ أوصّل ابنتي وأنا في طريقي إلى العمل، وهل أوصّلها ببنيّي أو أترك ذلك لوسيلة النّقل الجماعيّة الخاصة بالمدرسة نفسها إن وُجِدت؟!.... يمكنني أنّ أطرح ألف سؤال، تنتهي بالواسادة التي أسدّ إليها رأسي في آخر النهار، وسؤالٌ إضافيٌّ صعب: ألا يزال لي ما أسدّ له رأسي؟!... ثم تكرّر الأسئلة نفسها في يوم آخر... وتضاف لها أسئلة جديدة.... هل ينتهي نضالي اللاعنفي مع عطلة نهاية الأسبوع، أو مع العطلة السنويّة: أين أذهب في يوم راحتي وما الذي أفعّله فيه؟! أين أسافر إن كان لي أن أسافر في سياحةٍ مرّةً كلّ عام أو كلّ عدّة أعوام."¹)

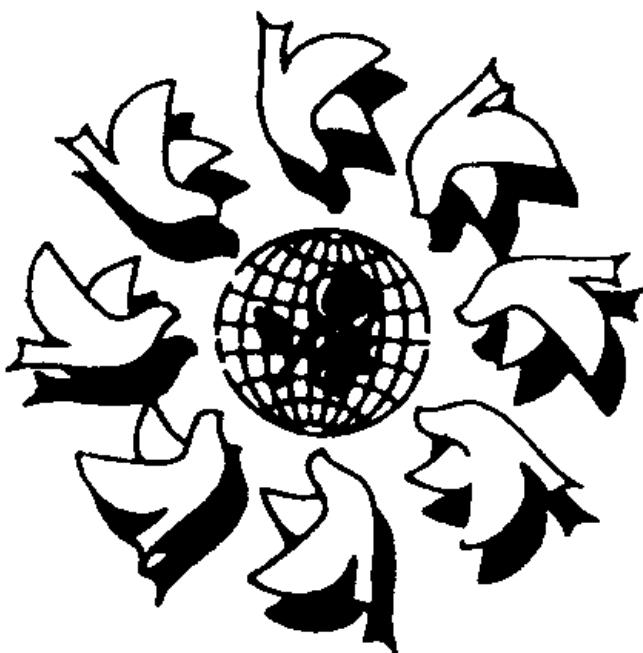
1 الكلام الوارد بين هلالين للاستاذ أديب خوري مقتبس عن جزء من معاصرته التي أشرنا إليها في المراجع السابق نفسه.

خاطرة

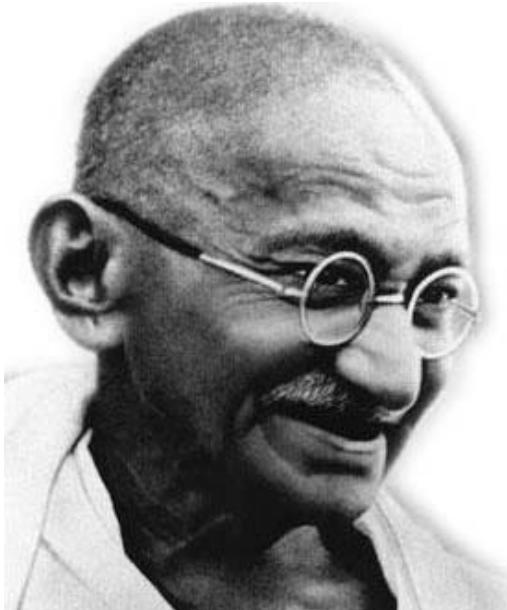
- صراع الساسة المجنون و تهافت السلطة الموتورة يشّوّه
إبداعات المجتمع وينتهك كرامة الإنسان...
- صرخ الشاشة المتواصل وضجيج الأخبار المحمومة يشّوّش
براءة الأطفال....
- لهيب المصانع وهدير المحرّكات يسرطن رئة الطبيعة و يحرق
رونق الأشجار....
- والمحبة تنتظر مَنْ جوَّاً على ما يبعث إلينا من سلام...
- فهل سنجد في أنفسنا جمال الكون لا في تملّق صور الدعاية
والاعلام؟
- وهل سنلامس الطمأنينة في أرواحنا لا في استجداء الأحلام؟
- إن لفسي نمو الورد فوق الدمار برهانًا على أن صمت
الأشجار انتصار على مدافع الركام...
- هبنا نصغي إلى أغنية الوجود ونكشف عن ضوّضاء الكلام!



على خطى السلام



من نماذج النّضال الروحي الاعنفي



مفهوم اللاعنف في فكر المهاجمة غاندي

”الرّد على وحشية إقرار بإفلاتنا الأخلاقي والفكري، وي يكن لهذا أن يكون بداية حلقة مفرغة“

۱ المہاتما گاندی

لا يكن للباحث في قضايا اللاعنف أن ييلو طروحاته دون الوقوف عند تجربة المهاجم مهندس. ك. غاندي والاستفادة منها، وإن كانت الظروف الإقليمية والسياسية والزمانية والمكانية

1 هاریجان، الأول من یونیو حزیران 1947، ص 174

تحتفل باختلاف مستويات الواقع والظروف الخبيطة بها، إلا أنّ المبادئ الكونية الجامعة للحضارة الإنسانية ومشتركات الحكمة الخالدة تتفق بما لا يدع مجالاً للشك على أنّ علاقـة الإنسان بالإنسان، والإنسان بالكون، ينبغي أن تكون علاقـة تكامـلـية لتحقيق الخبرة والسلام، وتحـمـور حول أهمـية وعيـ الكـائـنـ الإنسـانـيـ لـعـظـمـةـ وجـودـهـ الـذـيـ لاـ يـكـتمـلـ إـلـاـ بـالـلاـعـنـفـ والـلاـإـكـراـهـ.

وفي زمننا نجد من يحتج مـعـتـرـضـاـ عـلـىـ المـقاـوـمـةـ الـلاـعـنـفـيـةـ مشـيرـاـ إـلـىـ أـنـ ظـرـوفـ الـهـنـدـ الـاسـتـثـانـيـةـ فـيـ مـقاـوـمـتـهاـ لـبـرـيـطـانـيـاـ هـيـ الـتـيـ سـعـتـ بـنـجـاحـهـ،ـ وـأـنـهـ لـاـ يـكـنـ الـاستـفـادـةـ مـنـ هـذـهـ التـجـربـةـ فـيـ عـصـرـ الـعـولـةـ؛ـ غـيـرـ أـنـنـاـ نـجـدـ أـسـسـ "ـالـغـانـدـيـةـ"ـ تـكـمـنـ فـيـ قـلـبـ الـكـائـنـاتـ وـجـوـهـرـ كـلـ الـأـدـيـانـ،ـ بـلـ إـنـّـ مـنـ فـوـائـدـ "ـفـتوـحـاتـ الـعـولـةـ¹ـ الـفـكـرـيـةـ"ـ زـيـادـةـ فـرـصـ الـلاـعـنـفـ وـنـجـاحـهـ فـيـمـاـ يـتـعـدـىـ الـحـدـودـ الـقـومـيـةـ وـالـدـينـيـةـ،ـ إـضـافـةـ إـلـىـ أـنـ الـعـولـةـ لـعـبـتـ دـورـاـ إـيجـابـيـاـ لـاـ يـسـتـهـانـ بـهـ،ـ فـيـ الـحـدـّـ مـنـ عـنـفـ الـأـنـظـمـةـ الـحـاكـمـةـ الـمـسـتـبـدـةـ،ـ وـتـحـقـيقـ مـسـاحـةـ أـوـسـعـ مـنـ الـدـيمـوـقـراـطـيـةـ وـحـرـيـةـ الـفـضـاءـ السـيـبـيرـيـ

¹ كـتـتـ قـدـ اـنـتـقـدـتـ فـيـ مـقـالـ سـابـقـ الـعـولـةـ بـوـصـفـهـ الـاستـهـلـاكـيـ المـلـدـيـ الـجـشـعـ،ـ بـيـدـ انـ الـعـولـةـ بـفـهـومـهـاـ الـإـنـسـانـيـ الـإـيجـابـيـ مـطـلـوـبـةـ:ـ مـنـهـاـ عـولـةـ السـلـامـ وـعـولـةـ الـلاـعـنـفـ وـعـولـةـ الـقـيـمـ الـإـنـسـانـيـةـ الـمـشـتـرـكـةـ،ـ وـكـلـهـاـ اـمـرـ اـيجـابـيـ وـمـطـلـوـبـةـ تـنـاـوـلـهـاـ تـحـتـ عـنـانـ الـعـولـةـ الـبـدـيـلـةـ.

والاعلامي، مما يفسح آفاقاً رحبة لـإحداث صحوة لاعنفيّة ضدّ ما يحصل من جرائم يومية بحقّ البشر عبر التطهير العرقي والاضطهاد وتعنّت الدول المسيطرة؛ أو جرائم بيئية بحقّ الكائنات الأخرى والطبيعة وتخريب الغلاف الجوي للأرض.

وليس المطلوب من عرض رؤية غاندي إسقاط التجربة "الغاندية" كما هي وتطبيقها هنا وهناك، فطرح فكر الرجل لا ينحى بحال من الأحوال إلى جعله كراسة وصايا، أو دستور يجب تطبيقه "فلتحطم الغاندية إن أخطأت. لا يمكن تحطيم الحقيقة. فإذا أصبحت الغاندية إسماً آخر للطائفة فإنها تستحق أن تغدو جديرة بالتدمّير".¹

بيد أنّ المثال الاعنفي الذي اتبّعه غاندي جدير بالتوقف عنه والاستفادة منه، كونه حول الخبرة الروحية والمفاهيم الفردية إلى فعلٍ حضاريٍّ، ساهم في فتح كوة في جدار العنف وساهم في تحرر شبه القارة الهندية.

ويمكن اليوم استلهام التجارب المشتركة في تراث البشرية، التي تؤكّد على أنّ العدالة والحبّة لا تتحقّقان إلا باللاعنف، من أجل حماية الإنسانية، ولكلّ شعبٍ تراثه الروحي المشرق الذي

1 غاندي، هاريجان، اواسط يوليو 1939، ص 197

يشع سلاماً فطرياً، وي يكن له أنْ يُبلور رؤيته الخاصة للاعنف بحسب ظروفه وإمكاناته وجدوره الفكرية، أسوة بما فعل مُستيري كل العصور من سقراط والناصري و دانيال والخلاص وغاندي ومحبي الدين ابن عربي وماهافير وناناك و طاغور وتولستوي... وغيرهم، مُنْ آمنوا أنَّ التغيير الفعلي يبدأ بتحقيق الإنسانية والسلام و تربية النفس قبل جهاد البشر، وأنَّ نصرة الحق لا تكون إلا بالحق وبوسائل عادلة.

فمن "واجب الآخذين باللاعنف نهج حياة، بدون أن يتزحزوا عن موقفهم الداخلي الأساسي، أن يتذكروا أساليب عمل جديدة، وأن تتفق عقريّة الحقيقة الكامنة في مذهبهم عن تجليّات بكر."¹

يقول غاندي "اللاعنف هو شريعة الجنس البشري. وهو أكبر وأسمى بما لا يقاس من شريعة القوة الغاشمة. وهو... لا يليق بأولئك الذين يملكون إيماناً حياً بألوهة الحبة... لذلك، عندما نقبل باللاعنف كقانون للحياة، من الواجب أن يشمل (هذا القانون) الكائن بكليته، لا أن يكون مجرد أفعالاً منعزلة.

¹ ديفيتري أفييرينوس، غاندي بين القيادة والسياسة، في محاضرة أللقاها خلال ورشة عمل حول: اللاعنف وضبط النفس، المنعقدة في مرمرة 10 و12 تموز يوليو 2009، سوريا.

ومن الخطأ الكبير الاعتقاد بأن القانون يصح على الأفراد

¹ ولا يصح على الجنس البشري ككل.

والقانون الذي يعنيه غاندي ليس "القانون" الذي وضعه

الإنسان، بل القانون الذي صنعته الطبيعة للإنسان.

فالتدريب على ممارسة اللعنف تبدأ من العلاقات

الشخصية مع الآخرين وهو ليس تدريباً خارجياً أو جسدياً، بل

هو الإرادة بعدم ممارسة العنف والقتل حتى من باب المعاملة

بالمثل وامتلاك الجرأة في مواجهة التحديات بما فيها الموت دون أي

رغبة في الانتقام.

"وما من شجاعة أكبر من رفض الركوع أمام أي سلطة

أرضية، أياً كانت قوتها، وهذا ليس ممكناً من دون القوة الجبارية

للروح والإيمان المطلق، بأن الروح وحدها خالدة، وليس أي

² شيء آخر"

وبحسب رؤية غاندي فإن تطبيق اللعنف يتطلب عاملين:

العامل الأول: وجود إنسان مؤمن باللعنف سبيل حياة

يحمل بذرة فطرية إنسانية تتجاوز الدكاكين الروحية والتقسيمات

1 المهاذا غاندي، هاريجان، الخامس من سبتمبر 1936، ص 236.

2 المهاذا غاندي، هاريجان، أواسط أكتوبر 1938، ص 290 - 291.

القومية والأراء السلطانية، والأيديولوجيات المتصلبة، والنظريات الانعزالية، ويتمتع بالقوة والإرادة على زرع بزور التسامح في قلب الأخوة الإنسانية.

العامل الثاني: وجود مبادئ أخلاقية قابلة للتطبيق في سياق التربية اللاعنفية قوامها الحبّة لكل الخلائق والتضحية من أجل الإنسانية وتحمل المسؤولية تجاه الكون والكائنات.

بارقة:

يقول ديفيد مكرينولدز:

” يحتاج اللاعنف جزًما إلى نساء ورجال ذوي شجاعة، لكنه مُقضٍّ عليه بالفشل إذا اعتمد على الشّجعان فقط.... لكن غايتنا هي حياة خَيْر، غايتنا هي السعادة لا تمجيأً للمعاناة، نحن بحاجة إلى حركة الناس العاديين الذين يستطيعون، أحياناً، أن يتصرّفوا بطرق خارقة⁷ ”

¹ ديفيد مكرينولدز، فلسفة اللاعنف، ترجمة ديفيتري أفييرينوس، معابر للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط1، 2009. ص 80.



المنظلات الأخلاقية والميتولوجية¹

لمفهوم اللاعنف عند غاندي¹

"اللاعنف شريعة جنسنا بينما العنف شريعة البهائم، وشريعة الروح الغافية في قلب العنف الذي لا يعرف سوى قانون القوة الجسدية. لكن كرامة الإنسان تتطلب طاعة قانون = أسمى هو قوة الروح"²

1 لا يسعني الوقوف عند الخلقيات الأخلاقية لغاندي دون العودة حتماً إلى كتابات الصديق الكبير ديميتري أفييرينوس، الذي كرس جلّ وقته لترجمة التراث الروحي المهندي ومراجعةه وتدقيقه، علاوة على بلوغه أسس العمل اللاعنفي، لذلك فلائي سأورد جزءاً من محاضرته في هذا المقال، التي حرصت على عدم التدخل في صياغتها عمداً كي لا أشوه المعنى.

2 المهاجر غاندي: الهند الفتاة، 11 أغسطس 1920، ص. 2.

"منزلة غاندي تقوم أساساً على أنه حَقَّقَ مِعَادِلَةً كَانَتْ مِكْنَةً في التاريخ القديم وتَكَادْ تَصِيرُ مِتَذَرِّدَةً الْيَوْمَ: الْجَمْعُ بَيْنَ مَقَامِيِّ الْحَكِيمِ وَالْمَرْشِدِ الرُّوْحِيِّ، مِنْ نَاحِيَةٍ، وَرَأْيِيِّ السِّيَاسِيِّ الْمَلَهَمِ، مِنْ نَاحِيَةً ثَانِيَةً. الرَّأْيُ هُنَا هُوَ إِنْسَانٌ قَادِرٌ فَعَلًا عَلَى اسْتِشْرَافِ حَرْكَةِ الْجَمْعِ وَحَرْكَةِ التَّارِيخِ، وَفَهْمٌ كَيْفَ يَسْتَطِعُ الْمَسَاهِمَةُ فِي صَنْعِهَا وَفِي تَوْجِيهِ الْأَحَدَثِ عَنْ وَعِيٍّ، رَغْمَ ضَرَبَةِ الْإِنْسَانِ وَدُورِهِ فِي هَذَا الشَّيْءِ" بَعْنَى آخَرُ، مَعَ حَفَاظَةِ عَلَى تَوَاضُعِ كَبِيرٍ بِالنَّسْبَةِ لِلْفَعْلِ الَّذِي يَسَاهِمُ فِيهِ. كَانَ غَانِدِي نَبِيًّا اجْتَهَدَ طَوَالَ حَيَاتِهِ فِي بَلُوغِ مَثَلِ الْحَقِيقَةِ وَاخْتِبَارِهِ، هَذَا الْمَثَلُ انْكَشَفَ لَهُ عَبْرَ هَنْدُوسيَّةٍ مَفْتَحَةٍ عَلَى الْأَدِيَانِ وَالْمَلَلِ كَافِةً. وَكَانَ لَا يَنِي يَصْرُّ أَنَّهُ رَجُلٌ خَبِيرٌ بِرُوحِيَّةِ أَصْلَاءٍ، وَلَيْسَ رَجُلُ سِيَاسَةٍ. كَانَ يَقُولُ: "أَنَا مَثَالِيُّ عَمَلِيٍّ"، "أَحَاوَلَ أَنْ أُدْخِلَ الدِّينَ فِي مَجَالِ السِّيَاسَةِ". لَيْسَ الْمَقْصُودُ بِالْدِينِ وَفَقَدْ مَفْهُومُ الْمَؤْسِسَةِ، بِلِ الدِّينِ كَخَبْرَةِ حَيَّةٍ، كَلِخْتَبَارِ رُوحِيٍّ شَخْصِيٍّ. لَكِنَّهُ، مَعَ ذَلِكَ، كَانَ رَجُلُ الْأَفْعَالِ بِقَدْرِ مَا كَانَ رَجُلَ التَّأْمِلِ.

وَهَذِهِ الْثَّنَوِيَّةُ الَّتِي تَمَكَّنَ مِنْ اجْتِرَاحِ مَعْجَزَةِ اخْتِزَالِهَا إِلَى وَحْلَةٍ تَسْتَندُ إِلَى كَشْفِيْنِ حَاسِيْنِ مِنَ الْكَشْفِيْنِ الَّتِي رَسَّمَتْ مَسَارَ حَيَاتِهِ الدَّاخِلِيَّةَ: الْكَشْفُ الْأَوَّلُ، هُوَ "اللهُ هُوَ الْحَقِيقَةُ"؛ وَالْكَشْفُ الْثَّانِيُّ الْأَعْقَمُ: "الْحَقِيقَةُ هُيَّ اللهُ". فَالْكَشْفُ الْأَوَّلُ يَنْفِي الْحَقِيقَةَ مِنَ الْعَالَمِ إِلَى الْمَطْلَقِ، الْمُتَعَالِي عَلَى الْعَالَمِ، بَيْنَمَا الْكَشْفُ الْثَّانِي يَعِيدُ اللهَ إِلَى درُوبِ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ، مَثَلِمَا يَكُنُّ لِلْمَرءِ أَنْ

يعرف من ماء الغانج المقدس براحتي يديه، أو أن يعرف بتدوّقه حبة رز واحدة فيما إذا كان الرز كله ناضجاً أم لا" هذا الكلام لـ (راماكرشنا)، وهو أحد حكماء الهندوس الكبار.

لقد جمع المهاطما في مذهبه الحياتي بين المنظورين الإسلامي، حيث يجمع الله بين صفاتي الحق والعدل، والمسيحي، حيث يمكن للألوهية أن تتجسد في حياة إنسان فرد. فمن يصبح الحق والعدل قوام حياته يتَّلَه؛ وعلى التبادل، من يتَّلَه إلى التَّلَه، مخلصاً للحكمة الأزلية، حيث "لا وجود إلا لله، ولا شيء سواه" (غاندي، الهند الفتاة)، يجب أن يعمل بموجب الحق (العدل) وأن يسري في شرائينه شوقٌ لافح إلى إحقاقه.¹

أولاً: مفهوم الحقيقة ساتياغراها: *satyāgraha*

إذن تتمحور رؤية غاندي على أساس أخلاقية مستقاة من جذوره الهندوسية وان كان "الدين" (الدharma)² من وجهة نظره يسمو فوق كل المسميات: "دعوني أشرح لكم ما أعنيه بالدين: إنه قطعاً ليس الديانة الهندوسية التي أفلّرها حتماً أكثر من باقي الديانات، بل الدين هو

1 ديفيتري أنثيرينوس، غاندي بين القداة والسياسة، مرجع سابق.

2 الدharma: الدين شريعة الكائن الأوحد.

ما يسمى فوق الهندوسية، فيغير طبيعة كلّ شخص، ويربطه بشكل لا ينفصّ
بالحقيقة التي يَطْهُرُ المرء من خلاها. إنه العنصر الراسخ في الطبيعة البشرية
التي لا تخلُ بَأَيِّ ثمنٍ كي تبلغُ كاملاً تحقّقها، ولا تدعُ للنفس مجالاً للراحة
حتّى تتعرّف إلى نفسها، فتتعرّف خالقها، وتُقدّر حقيقة التطابق بين الخالق
وبيّن الذات¹"

إن الاستعانة بقوّة الحقيقة هي أصل منبثق من قوّة الروح
وساتياغراها² (ساتيا: "حقيقة" واغراها: "قبض")؛ وهذا
المصطلح بالسنسكريتية يعني "الاستمساك بالحقيقة" وهو ما ترجمه غاندي
بـ"القوّة النابعة من الروح" إنها النداء الملّح للحقيقة في خدمة الأرض.
إن اللاعنف الكامن في قلب الحقيقة من شأنه أن يُطلق
طاقة روحية ترغّم "الخصم" على مراجعة ذاته ومساءلة نفسه،
إذ ليس ثمة مطلب بإلحاق المذلة به ولا كراهيّة تجاهه، إنها
استراتيجية تستهدف قلب الإنسان عبر الوثوق بالضمير الموجود
عنه قطعاً بوصفه إنساناً، ما يحقق الهدف بتحقيق العدالة وقهـر
الشرّ الذي هو أحد ضحاياه أيضـاً.

1 الهند الفتاة، في 12 مايو 1920 ص 2.

2 المهاـنا غانـدي، قصـة تجـاريـي معـ الحـقـيقـيـة، ترـجمـة منـير بـعلـبـكـيـ، دـارـ العـلـمـ لـلـمـلـاـبـيـنـ، بـيـرـوـتـ، لـبـانـ، 1973ـ.

المهاـنا غانـديـ، كـتابـاتـ وـأـقوـالـ، مـرـجـعـ سـابـقـ صـ 156ـ.

ان الشخص اللاعنفي (الساتياغراهي) يتنهج نهجاً وجودياً ويمارس ضرباً من ضروب الحياة الروحية المتبلورة بشكل عملي، فهو ليس إداعاً أو جُبناً، إنها القوة الآتية من الإرادة التي لا تُظهر: الإرادة بعدم القتل ومواجهة الموت دون الرغبة في الانتقام

فالحقيقة بنظر غاندي "لم تكن مطلقاً مجرداً مبهماً، بل مبدأ ينبغي اكتشافه اختيارياً في كل حالة على حدة. الحقيقة، في خبرته، هي الغاية واللاعنف هو وسيلتها. من هنا فقد اهتم بصفة خاصة بالوسائل المستعملة لبلوغ الغاية، مؤكداً أن الوسائل تصنع الغاية بالضرورة. لذا يتخذ اللاعنف علة أساليب لتحقيق أغراضه، منها الصوم، والمقاطعة، والاعتصام، والعصيان المدنى، والترحيب بالسجن إذ حصل، ورباطة الجأش أمام الموت"¹

² ثانياً: مفهوم اللاؤذى أو اللاعنف: آهيمسا ahimsā

لعل عقيدة الآهيمسا من أبرز مساهمات الهندوسية في ثقافة الهند وأكثرها تميّزاً، لأنها أعطت خصوصية حضارية إنسانية لهذا البلد. وعلى الرغم من أن جذورها تعود إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام، إلا أنها مازالت حيّة وقدرة على الاستجابة

1 ديفيتري أشيفرينيوس، غاندي بين القيادة والسياسية، مرجع سابق.

2 آهيمسا: مبدأ اللاؤذى أو كف الأذى، أو اللاعنف، وهو يشير إلى تجلي الحبة في أشكال الحياة.

للمؤثرات والتحديات إلى يومنا هذا، والسبب يعود إلى أنها عقيدة قابلة للتطور حسب الظروف.

يقول غاندي: "الآهيمسا هي أساس البحث عن الحقيقة، ويزداد يقيني كل يوم من عدم جدواً لهذا البحث مالم تكن الآهيمسا قاعدته، لأنّه إنْ كان صحيحاً جدّاً مقاومة ومحاجمة نظامٍ ما، فإن مقاومة أو مهاجمة صاحبه يساوي مقاومة الذات ومحاجمتها وجيئنا أبناء نفس الخالق، ما يعني أن القوى الإلهية التي في داخلنا لا متناهية، والاستخفاف بـكائن بشري واحد يعادل الاستخفاف بهذه القوى الإلهية، وي يعني بالتالي الإساءة ليس فقط إلى هذا الكائن بل إلى العالم بأسره"¹

ومفهوم آهيمسا ahimsā (أ: أداة نفي، وهيمسا: أذى) عند غاندي، هو أساس قانون الحياة كونه يحمي الوجود عبر كفّ الأذى عن كلّ الكائنات ونشر الرحمة والمحبة، بل إنّ حماية البيئة الطبيعية والعنابة بالحيوان وسائر مكونات الكون تدخل في هذا المفهوم أيضًا، إنها وحدة مسؤولية الكائنات الإنسانية تجاه الكائنات الأخرى والكون. وحده اللاعنف، بنظر غاندي، قادر على استعادة الحقيقة. وقد كتب بهذا الصدد: "ساتياغراها ليس العصيان المدني حصرًا، بل سعي هادئ لا يقاوم إلى الحقيقة."

1 المهاها غاندي، قصة تجاري مع الحقيقة، مرجع سابق، ص 203.

والحقيقة، في خبرته، هي الغاية واللاعنف هو وسيلتها. من هنا فقد اهتم بصفة خاصة بالوسائل المستعملة لبلوغ الغاية، مؤكداً أن الوسائل تصنع الغاية بالضرورة.

ثالثاً: مفهوم اللاتملك أباريغراها:

"الإِنْسَانُ مَمْلُوكٌ مَا يَمْلِكُ. فَإِنْ شَتَّمْتُمْ أَلَا تَكُونُوا مَمْلُوكَيْنَ فَاعْتَقُوا مَا فِي قُبْضَتِكُمْ لَتَتَعَقَّبُوا مِنْ قُبْضَتِهِ" ¹

إن مفهوم اللاتملك من أكثر الأمور محوريةً في بنية اللاعنف كونه يعني نكراناً تاماً وكمالاً للذات و استخدام الجسد في الخدمة، إنها حالة ذهنية تؤمن للإنسان الراحة والسعادة عبر التحرر التام من الخوف، وتعني أن يكون الإنسان مستعداً لتقابل الموت والتذكر بجسده من أجل خدمة الإنسانية، لذلك فإن مفهوم اللاتملك (أباريغراها) يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفلسفة "الياجنا" (التضحية).

ويرى غاندي أن "الحق في الحياة مشتق من إنكار الذات. حيث لا يقال (عندما يفعل الجميع ما عليهم سأفعل ما عليّ) بل يُقال (لا تهتم بما يفعله الآخرون، بل افعل انت ما عليك ودع له الباقي)"²

1 ميخائيل نعيمة، كتاب مرداد منارة وميناء، مرجع سابق، 94.

2 هاريجان، السادس من مارس 1937، ص 27.

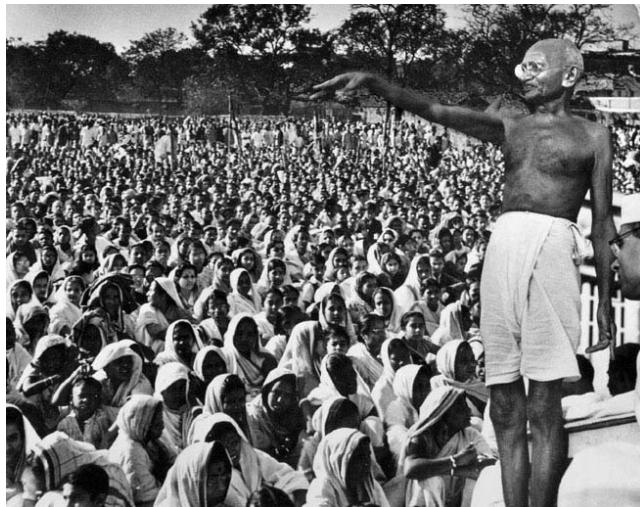
ويتساءل غاندي: "لماذا علينا جميعاً اقتناء الممتلكات؟ لماذا لا يجب علينا، جميعنا، وبعد فترة من الزمن، تجريد أنفسنا من كل الممتلكات؟"¹ فالله لم يخلق أكثر مما نحتاج إليه لتلبية احتياجاتنا الآنية، لذلك فحين يتملك الفرد أكثر مما يحتاج إليه يفتقر جيشه! "هذا تعلمنا الأوبانيشاد² أن نتخلى عن تعلقنا بالأشياء التي نستمتع بها" ما يعني، أنه يجب علينا التعامل معها ليس كمالكين لها كمؤتمنين عليها.³ فاللاملك يحرر الإنسان الخوف من الخسارة إذ لا نملك شيئاً كي نخسره "وهكذا نكتشف أن كل مخاوفنا هي من صنع خيالاتنا، ما يعني أن الخوف لن يبقى له مكان في قلوبنا حين نلقي جانبياً تمسكنا بالثروة من أجل العائلة، من أجل الجسم... (استمتع بالأشياء الأرضية عبر تخليك عنها) وهو تعليم نبيل، في هذه الحالة، يصبح كل من الثروة والعائلة والجسم سواسية، وعلينا فقط تغيير سلوكنا تجاهها، لأنها جميعها ليست لنا بل لله، لأننا لا نملك شيئاً في هذا العالم".⁴

1 الهند الفتاة، 3 يوليو 1924 ص 221.

2 الأوبانيشاد: موضوعات الفلسفة الهندية القديمة وقد نبعث منها منظومة فيداننا الفلسفية.

3 المهاهاتا غاندي، كتابات وخطابات، ص 130.

4 المهاهاتا غاندي المرجع السابق نفسه.



المرتكزات العملية للاعنف عند غاندي (العصيان المدني - الالتعاون)

إن شعّباً مستعبدّاً وخانعاً، سواء استعبده الخوفُ أم قمعٍ بهزيته، هو الخليف الأمثل للحكم الذي يضطهدُه. فالرأي العام يتعلم الخصوصَ وعندئِلٍ يتربّسخُ لديه الشعور بالقدرة. عند ذاك لا يكون التمرد معارضَةً للنظام فحسب، بل احتجاجٌ على صمت العامة السلبي.¹

فياي أو لفبيه

يرى الإنسان المعاصر نفسه اليوم مضطراً للبحث عن خلاصٍ فيما المجتمعات برمتها، لاسيما في منطقتنا، تعاني من تراكم مزمن

1 أolfieh Fial، كلنا منشقون، مجلة خيارات لاعنفية، العدد 34، قوز 1979، ص 34.

للمظالم وتجذرها العميق في بنية المجتمع وسلوكيات أفراده، سواء كانت تلك المظالم سببها المباشر أنظمة داخلية رديئة أم كانت مظالم خارجية سببها الاحتلال العسكري بقوة الحديد والنار وسفك الدماء، الأمر الذي دفع بالسوداء الأعظم من ابناء تلك الشعوب نحو اليأس. غير أن تجذر المظالم هنا، يعود بالدرجة الأولى إلى قبول أعضاء المجتمع وتوافقهم بل وقبولهم وتعاونهم مع ماضيهما وقادعيهم. إن عملية تقديم رؤية فكرية تحررية، تتمحور حول وقف الهدف باسم "الزعيم" بالدرجة الأولى، ووقف عملية تسيير الجحود تجاه أي محتلٌ تحت أي مسمى أو ذريعة، ومن ثم مواجهة التعاون الذي يمارسه معظم أعضاء المجتمع المتعاونين مع الظلم القائم، هو أمر يحتاج إلى تصور فكري واستراتيجية عملية استطاع غاندي أن يقدمها لأبناء شعبه من ذاقوا الأمرين من أوضاع أقل ما يقال فيها أنها مزرية ولا إنسانية.

وإذا كان من الأهمية بمكان اعتماد استراتيجية عملية سلوكية غير عنيفة، فإننا ينبغي ألا ننسى عمل الروح والأخلاق في هذا السياق حيث أن فاعلية أي عملٍ لا تكتمل إلا عبر تحرر من بؤس النفوس وشقاء الأرواح، وانبثاق رؤية فكر تشع كالنور تؤمن بقيم العدالة وترتكز على كسر التعاون مع الظلم ومصادره ومكافحة شتى أنواعه، من خلال ممارسة ضغط اجتماعي وعملي،

يرُغم "المسؤولين" و"صنع القرار" و"اصحاب الفوز" على الاذعان والرضوخ لمطالب الناس العادلة، وذلك من خلال الرفض الحاسم لأية مشاركة في اي وظيفة تؤدي ممارستها الى الحفاظ على موقع الخصم التمسك بجوره، كما سيرغم اي محتل على الرحيل عندما يعلم امكانية ايجاد من يتعاون معه ويسهل له مهامه.

لقد أصر بعض النقاد على إظهار أعمال غاندي وكأنها دعوة للرجوع إلى العقل والضمير وان الهدف منها احياء ضمائر الناس، واذا كان هذا الأمر من فلسفة الرجل، إلا ان الهدف المباشر من حملاته كان القضاء على أسس وبني التعاون القائم بين الشعب الهندي والاحتل البريطاني وتقصير أمد الاحتلال ودفعه الى الرحيل لذلك فإنه يقول:

"إذا كانت الحكومة تعمل بشكل سيئ نكون مسؤولين عن سيئاتها عبر تعاوننا معها في جعل هذا الشر ممكناً. لذا يجب علىي سحب دعمي لهذه الحكومة، ليس بداع الانتقام، بل لكي لا أشارك في تحمل مسؤولية الشر الذي تسبّبه"¹

1 جان ماري مولر، استراتيجية العمل اللاعنفي، ترجمة ماري طوق ومراجعة أنطوان طوق ووليد صليبي، حركة حقوق الناس، بيروت 1999، فصل: مبادئ العصيان المدني وأسسه، كما أورد رأي س. بانتر بريك في: غاندي في مواجهة مكيافيلي، ص 125 وقد ظهر في مجلة معاابر. راجع أيضاً: جان ماري مولر، اللاعنف: المبادئ الفلسفية، واستراتيجية العمل اللاعنفي، أوراق بحثية ألقاها خلال محاضراته في ورشة عمل المنعقدة تحت عنوان، اللاعنف الثقافة والتربية، مرمريتا 20 - 22 حزيران 2008.

العصيان المدني بين العدالة و القانون

"الجهل وحده فخور بمحنة القضاء، و ولوغ بشرح القانون وإنزال العقوبات بالناس. والجهل يدين ذاته بذاته. وليس أقسى من الجهل دليلاً للجهل¹"

إن عملية تقديم رؤية عن العدالة، تدفعنا إلى تقييمها عن القانون، إذ ليس القانون هو الذي يُعمل ما هو عادل، بل إن العدالة هي التي تفرض القانون، فحين يكون هناك تعارض بينهما، علينا أن نختار العدالة وأن نعصي القوانين، لأن ما يجب أن يُلهم الإنسان في سلوكه ليس ما هو "شرعى" بل ما هو "مشروع".

و حول هذا السياق عدّل غاندي في يناير 1920 النص الذي يحدد أساليب عمل حزب المؤتمر الهندي حين كانت قوانين الحزب تؤكد في وضوح أن عليه متابعة أهدافه "عبر وسائل قانونية"، أي شرعية، استطاع غاندي أن يجعل حزب المؤتمر يصوت لصالح قرار يقضي بأن

1 ميخائيل نعيمة، كتاب مرداد منارة وميناء، مرجع سابق ص 101.

يعمل الحزب "وفق الوسائل المشروعة والسلمية كلها"¹، وهنا نضيف
قائلين إن كلّ مجتمع يفترض فيه أن يستعمل الوسائل التي تسمح له
بحماية نفسه من الأفراد والجماعات الذين يجتهدون لزرع الفوضى
ويهددون بذلك تماسك المجتمع واستقراره.

إن على كلّ مجتمع يتطلع إلى ضمان الحرية والعدالة المثلثى
لأفراده أن يطالب بحق، لا بل بواجب التنظيم، حتى تبقى هذه
الحرية وهذه العدالة في مأمن من أذى أعدائها.

لذا يتخذ اللاعنف عدلاً أساليب لتحقيق أغراضه، منها الصوم،
والمقاطعة، ورفض الضريبة، والاعتصام، والعصيان المدني، والعرقلة
اللاعنفية، والترحيب بالسجن إذ حصل، ورباطة الجأش أمام الموت.

"اللاتفاقون ليس حركة تبجح ولا هو تظاهر. إنه امتحان
لإخلاصنا. على أتباعه أن يعقدوا العزم على التضحية بأنفسهم
إنه نداء موجّه إلى صدقنا وإلى مقدرتنا على العمل من أجل
الأمة وحركة تهدف إلى ترجمة الأفكار إلى أفعال.... من يمارس
اللاتفاقون يسعى إلى لفت الانتباه وتقديم القدوة الحسنة، ليس
بالعنف لكنْ بالتواضع الراغب عن الظهور. فهو يترك عمله
المكين ينطّق عن إيمانه، وقوته تكمن في ثقته بعدلة قضيته....

1 المرجع السابق ص 132-133.

الكلام، خاصةً إذا نطق عن غرور، يشي بنقص في الثقة.... لذا فإن التواضع هو مفتاح النجاح السريع."

هذا مردُ دعوة غاندي أتباعه إلى الانتصار بالحبة، لأن من شأنها وحدها أن تعطي الساتياغراهي المنعة الروحية، والتواضع، والإقدام، والاستعداد للتضحية من أجل رفع الظلم، "الظلمة"، عن الذات وعن الخصم. صحيح أن غاندي يشرط لنجاح هذا النهج تُمُّتُ الخصم ببقية من ضمير وحرية تُمْكِّنه في النهاية من فتح حوار موضوعي مع خصميه، لكنه لم يفقد لحظه إيمانه بأنه لا يوجد إنسان واحد على الأرض يعدم هذه الصفات تمامًا.¹

إن هدف العصيان المدني لا يقوم على إلغاء القوانين، بل على تطويرها، إعادة إصلاحها، بحيث تستطيع معها أن تكون منسجمةً أكثر مع متطلبات العدالة والحرية. يؤكّد غاندي: "العصيان المدني هو التأكيد على حق يحب أن يعطيه القانون لكنه يرفض إعطائه".²

كما أن العصيان المدني ليس عملاً سرياً فعندما كان مارتن لوثر كنغ يخطط لتعطيل العمل العادي لمؤسسات المجتمع الأمريكي،

1 ديفيتري أفييرينوس، غاندي بين القيادة والسياسة، مرجع السابق.

2 جان ماري مولر، قاموس الاعتف، ص 188 و 189.

من خلال حملات الالاتعاون، أوضح قائلاً: "هذه المقاطعة يجب ألا تكون سرّية أو في الخفاء. ليس ضروريًا أن تلبسها ثوب حرب المغاوير الرومانسي، بل يجب أن تكون علنية وأن تقوم بها جماهير كثيرة، دون أيّ لجوء إلى العنف. وإذا كانت السلطات تريد إفشالها وإغراق السجون بنا فإن معناها بذلك يصبح أوضح" ¹

1 Martin Luther King: La seule révolution – Casterman – 1968. Page: 34

العصيان المدني

بين ديموقратية التمثيل و ديموقратية المشاركة

إن معظم الديمقراطيات تقوم على حق الاقتراع الذي يسمح للمواطنين بالأدلة بأصواتهم لاختيار ممثلهم، هذا الأمر على الرغم من أنه يوصل أفراد يمثلون الشعب إلى سلطة الحكم بيد أنه لا يسمح بالمشاركة الفعلية لهذا الشعب في قرارات الحكم؛ لذلك نجد أنفسنا أمام ديموقратيات "التمثيل" لا ديموقратيات "المشاركة"؛ وبالتالي نجد أن آليات المراقبة تكاد تندفع في بعض النظم الديمقراطية أيضاً، لذلك فإن العصيان المدني سيكون من الأهمية بمكان لإبلاغ "السلطات" بالخلل الذي ترتكبه أو بالخطأ الذي يرتكبه الشخص الذي فاز بأصوات ناخبيه ثم حاد عن خياراتهم.

فلم وافقت أكثرية الحكومة المنتخبة ديموقратيا على شن حرب وعدوان على الآخرين، فهل هذا يعد مسوغاً ومبرروا لقبول العنف عند مَنْ يعارض شتى أنواع العنف؟

لقد أحزنني تأييد ما يقارب 80% من الشعب الأميركي في استفتاء إبان الحرب على العراق؛ ولكن يجب أن لا ننسى فعالية أولئك الذين رفضوا التعاون مع حكومتهم ورفضوا الخدمة العسكرية عبر "اعتراض الضمير"، وهم الذين لم يجدوا اي مسوّغ اخلاقي لخوض حرب قذرة. كما يجب ان لا نقلل من أهمية الذين احتجوا لأسباب عديدة أمام البيت الأبيض وفي عواصم أوروبا حاملين شعارات تندد بالحرب والعنف.

إن المواطن من خلال التصويت والانتخاب، لا يمارس سلطته، بل يوكلها. فماذا يحدث لو ارتكب المخازر من أوكلناه ان يحكم باسمنا؟
لقد أكدّ ميشيل دوبريه بعبارات واضحة بأنّ هناك مفهوماً معيناً للديموقراطية يقوم بالضبط على عدم مشاركة المواطنين وتخليهم عن تحمل مسؤولياتهم: "الديموقراطية ليست في إفساح المجال باستمرار أمام الأهواء والمشاعر الشعبية لمناقشة مسائل الدولة. المواطن العادي الديموقراطي حقاً يحكم في صمت على نظام بلاده. وحين يستشار في تواريХ محلاة من أجل انتخاب نائب، مثلاً، يستطيع عند ذاك التعبير عن موافقته أو عدمها. وبعدئذٍ يعود عودة سليمة وعادية إلى اهتماماته الشخصية"¹

1 ميشيل دوبريه، هؤلاء الأباء الذين يحكموننا، دفاتر المصالحة، أيار 1971.

لذلك ينبغي علينا إعادة النظر في مفاهيمنا، وفي مَنْ ننتخب وكيف، إذ من الأفضل أن يمارس الإنسان إرادته بحيث يُحد من الاستغلال إلى الحد الأقصى؛ والخطورة كل الخطورة في أن الانتخابات الشكلية التي تحصل من شأنها أن تمنح "شرعية" مجرمي الحرب أو لسفاكى الدماء، فكثيراً من المجازر ترتكبها الجيوش بحق الأبرياء والشعوب منها براء؛ والعصيان المدني وقفه شجاعة بوجه الآلة العسكرية لتقول لأمراء الحرب: "لا تمارسوا العنف باسمنا"، "لا ترتكبوا الفظائع الدموية بذرية حماية أمننا" ...

لقد آلتني كثيراً مشاهد ممارسات الجيش الأميركي لانتهاك حقوق الإنسان في العراق في سجن أبوغريب ومشاهد قتل الأطفال والمدنيين العزل كما آلتني تماماً مشاهد قتل الأبرياء زمن صدام في حلبجة... ان الاعتداء على كرامة الإنسان بغض النظر عن الجهة التي تقف ورائه هو أمرٌ مدان وال الحرب كل حرب مرفوضة فلا وجود لحرب عادلة، ومن واجبنا أن ندين كل ممارسات العنف في كل الدول فتصف المدارس التابعة للأمم المتحدة وقتل الأطفال والنساء في غزة هو عملٌ إجرامي لا يوجد له أي مبرر له ولا يمكن لأي إنسان ينتمي لفصيلة البشر أن يقبل بوحشيتها... والأمثلة في ذلك كثيرة، ومن حق الإنسان أن يعترض على "حكومته" التي تزج بأبنائه في حروب تحت ذريعة حماية الأمن أو الحروب "العادلة" ...

يقول غاندي: "إن الذين يؤمنون بعدلة قضيتهم بحاجة لأن يتمتعوا بصر غير محدود. فوحدهم المخلوقين للقيام بعصيان مدنى هم أولئك الذين يتربعون عن ارتكاب عصيان إجرامى، أو عن ممارسة العنف"¹

مسارات السلام وارادة العدالة

"ان كل حكم يصدره إنسان على إنسان هو عبء جديد للحاكم وللحاكم عليه"² والسلام بوصفه ارادة العدالة لا يتحقق إلا بالعدالة، ونسجل هنا بعض النقاط منها:

- ان تحقيق العدالة ينبغي ان يتم بالآليات عادلة لا عنفية، فالعدالة تقتضي شجاعة ومانعة مما يعني اتخاذ مواقف جريئة حيال ما هو غير عادل، و لو اصطدم المرء بقانون جائر فإن الشجاعة تقتضي "عصيان القانون" وبشكل سلمي عادل وهو ما يُيلّور على شكل عصيان المدنى.
- العدالة المقصودة هنا لا تعنى "تطبيق الانظمة" ولا عدالة "قضاة المحاكم" بل تعنى احترام الإنسان وحقوقه وهي ليست منة من أحد بل هي اعتراف بإنسانية الإنسان.

1 المهاجر غاندي: الهند الفتاة، 28 أبريل نيسان 1920 ص 8.

2 ميخائيل نعيمة، كتاب مرداد منارة ومينه مرجع سابق، ص 104

- الخروج عن المقارنة واحترام كينونة الافراد: عندما يعي المرء حقيقة التزاعات وينسحب من المقارنة المفضية اليها فإنه ينأى جانباً قائلاً لنفسه "إنني مميز في قدراتي لا أمثل إلا كينونتي الإنسانية لست أرقى من أحد ولا أدنى من أحد" ، عندها سيستطيع ان يرصد ما يجري دون ان يكون طرفاً فيه.
- القوة لا تصنع الحقوق إلا في شريعة الغاب، فالكائن الإنساني لا يحتاج الى سلاح ليثبت حقه، لذلك فإن الصراعات تختفي على مستوى الابداع الحدسي.

يتحقق السلام إذن من خلال تحقيق كونية الافراد أولاً وذلك عبر مسارين اثنين:

مسار اجتماعي: وفي هذا النطاق يتهدد الافراد لتحقيق إنسانيتهم "المجتمعية" على صعيد المجتمع الواحد وذلك من خلال إحلال العدالة بحيث يتجاوز الفرد أنايته ونزعته بالسيطرة الى مستوى تحقيق السلام لصالح الجماعة.

المسار العالمي: بحيث تتضاد المجتمعات بثقافاتها المتنوعة لتحقيق السلام فيتجاوز كل مجتمع عن "أنوبيته التاريخية" ويخلو عن ادانة الحضارات الالخري والثقافات المعايرة له للوصول الى سلام عالمي يعكس الانسنة الكونية.

بارقة

"ما كان للإنسان إرادة في كل شيء إلا كان
لكلّ شيء إرادة في الإنسان (صدقوا أنه) ما طعن
رجلُ رجلاً إلا من بعد أن شهد القتيلُ مديته
القاتل وساعده في توجيهه طعنته النجلاء"¹
عندما نريد العدل والسلام سيكون للعدل
والسلام فيها إرادة!

1 المرجع السابق نفسه ص 171.



مفهوم اللاعنف في فكر جَوْدَت سَعِيدٍ¹

يُطلّ المفكر اللاعنفي جَوْدَت سَعِيدٍ إلى العالم ليقرأ الواقع الإنساني من خلفيته الروحية المرتكزة على أسس السلام الكوني من خلال قراءة وفهم للنصوص اللاهوتية الإسلامية، وكمؤمن بالعقل والوحي، فيقرأ الآيات في الكون و"الكتاب"، ويعيد التأويل ب بصيرةٍ يفتح من خلالها السمع والبصر على

1 هذا المبحث يستعرض فكر جَوْدَت سَعِيدٍ في اللاعنف من خلال قراءة "غير نقدية"، بالاستناد إلى كتبه الصادرة عن دار الفكر المعاصر، ومن محاضراته حول "اللاعنف" التي ألقاها ماين عامي 2006 و2009 ومن مقابلات أجرها مع مجلات فكرية.

ما يحدث في العالم، فيتحرك بين النص "المقدس" والواقع المعاش، ويطرح جدلية الوحي والتاريخ، وعلاقات الألوهية والتکلیف، فيرى أن القرآن يُسهّل عليه الدخول إلى فهم اللاعنف وتحقيق السلام، كون النص القرآني يعطي قيمة كبيرة للتاريخ وعواقب الأحداث، ويؤكد أن هذا الكون يعيش حالة خلق وزيادة مستمرتين، وأن هذه الزيادة تتوجه في سيرورة تطورية نحو الأفضل. كما أنه يعلن أن باب السماء قد أغلق وانتهى عصر النبوات ليبدأ عهد العقل الإنساني، حيث ينبغي على الآمرون بالقسط من الحكماء بلورة المبادئ العقلية وترجمتها من خلال الديموقراطية إلى سلام عالمي.

مشكلة العنف: قلة وعيٍ وأفكار عرجاءٍ^١

(إن الأفكار والمفكرين هما منشأ الأزمة، سواء فيما يقدمونه أو فيما لا يقدمونه للناس، ولذلك فإنه من التزوير الكبير أن يحضر المثقف في الأزمات كمنقذ. إن من الأجرد به

1 جودت سعيد، مذهب ابن آدم الأول، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، 1993 حيث تناول مشكلة العنف في العمل الإسلامي.
جودت سعيد، كن كابن آدم، الفصل السابع، مذهب الرشد: مذهب الأنبياء ابن آدم والأنبياء، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، 1997. البحث المعون: النبي والقوة الفكرية.

أن يحضر كمتهم، أن يحضر للمراجعة واتهام الذات والبحث الجذري، وإعادة النظر في المنطلقات. لكن وبكل أسف ومرارة، فإن دور المثقف إلى اليوم يعتريه تشوهان كبيران:

- إما أنه في وعيه وفهمه يسير خلف التاريخ، ومن ثم فإنه لا يملك القدرة على رؤية راهنة للعالم، تستند على التاريخ وتستشرف المستقبل، تمكنه من تقديم مشورة نافعة ونصح سديد للسياسة تساهم في تغيير التوجه العالمي المنتج للأزمات.
- أو أنه متواطئ صامت راض بما تؤمنه له الأوضاع السائدة من امتيازات أنانية تجعله يغض الطرف عما يحدث في العالم، وعندما يستشيره الساسة يقدم لهم ما يريدون لا ما ينبغي عليهم فعله، بل إن هذا التواطؤ بحسب المفكر الفرنسي بيير بورديو هو العامل الأساس فيما نحن فيه من أوضاع¹

1 جودت سعيد، دور الفاعلين الدينين في بناء السلم والديمقراطية، في ماضرة ألقاها في بلجيكا في الثاني من كانون الأول ديسمبر 2009 خلال المؤتمر الثاني عن الاسلام - المسيحية وأوروبا 2009 - 2010

Jawdat Said Mohamed: The role of religious actors in peace-building "– Islam . Christianity & Europe - 2nd series of seminars - 2009-2010

اما المسلمين فقد مسخوا الإسلام بفهمه الكوني وشوّهوا حقيقته باتخاذ العنف سبيلاً علمًا ان الانبياء والحكماء أجمعين أثبتوا، وبكل المعايير، (أن الحقّ وحله من غير قوة، يستطيع أن يثبت ذاته، ويوجد كيانه، وأن المجتمع الرشاد يصنع طريق الرشد الذي لا إكراه فيه)، وإن المعركة الفكرية تقتصر على الوسائل الفكرية، ولكن المسلمين (وغير المسلمين) ضيعوا هذا التاريخ النظيف، ولا زال مسلمو زماننا منهزمون، والسبب هو أنّهم يحملون أفكاراً عرجاء لا تستطيع أن تصمد في الصراع الفكري، فإن كنتم، يا مسلمون، تثرون بأفكاركم، فلماذا لا تسلكون السبيل الذي سلكه رسول الله، من منع العنف، ومنع استخدام القوة، حتى صنع المجتمع الرشاد والحكم الرشاد بالفكر الأبيض واليد البيضاء.

إن كنتم لا تفهمون هذا، فستضطرون إلى فهمه في المستقبل، وستقبلونه رغمًا عنكم، ولكن بعد أن تدفعوا أثماناً باهظة، والحكم الذي ستصنعونه بالعنف لن يكون حكماً راشداً، بل سيرجع عليكم بالعنف فيما بينكم، ومن لا يعتبر بالتاريخ الماضي، فإن التاريخ القادم سيحمل إليه ما يضطره للقبول به).¹

1 المرجع السابق نفسه.

والأنبياء رسالتهم لاعنفية وجودها واحد¹ (ويُمكن أن نقول: إن الاعتراف بوجود رسل لم يرد ذكرهم في كتب الديانات التوحيدية في الفضاء الثقافي الذي أرسل فيه نوح وإبراهيم، يفتح الباب للاعتراف برسل الثقافات الأخرى سواء في الشرق الأقصى، أو في أفريقيا، أو السكان الأصليين في القارة الجديدة. حيث إن الأمم الآن بدأت تبحث عن ثقافتها القديمة لثبت وجودها وذاتيتها وهذا المنهج يضع البشرية على طريق التوحيد والاعتراف بالقواسم المشتركة بين الأمم ورسلها أيضاً، وهذا الموقف قيمة إيجابية إنسانية للناس جديعاً على سبيل التعاون والتفاهم والاعتراف بهم مشاركين في المسيرة الإنسانية. إن تطلعات الأنبياء لمستقبل البشرية لم تأت إلى حياة البشر، حيث كان مبدأ الأنبياء في أعلى مقاصدهم أن يكون تنافس البشر في فعل الخير، وأن يكون الهدف هو هذا إذا رجعنا إلى الوراء لنكتشف الأسس التي تمكنا من القفز إلى الأمم مثلاً يرجع الذي يريد أن يقفز إلى الوراء ليكون قفزه إلى الأمم أكثر قوة، لا أن نرجع إلى الوراء لنبقى هناك. ووسائل الانتقال ينبغي أن تكون لها القدرة على العودة إلى الوراء لا للبقاء هناك ولكن للتken من المناورة ليكون التقدم إلى الأمم فعلاً أكثر.

1 جودت سعيد، الدين والقانون، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، 1998، مبحث: وحدة النبوات.

فإذا كان البشر لم تكن تتيسر لهم الطاقة إلى الأئم،
ويتراجعون ليحولوا التنافس في فعل الخير إلى تنافس في فعل
الشر وتسابق إليه، فإن هذا العجز ليس ميزة البشر وإنما القدرة
على التجاوز ليستخدموا كل الإمكانيات، ليكون التجاوز أسرع
وأقل كلفة وأحسن مردوداً. ولنتذكر ما عاناه الذين دعوا إلى
أماكن متقدمة في أسلوب استخراج أفضل ما في الإنسان من
إمكانيات، فإذا السبل تكاد تكون مغلقة أمام أغلبية الناس،
فلنستخرج العبر من التاريخ، من رواد الإبداع ليتحول الإنسان
إلى أفضل ما أبدع فيه من قدرات، وفي هذا يقول القرآن لشد
أزر المبدعين)

(والقرآن يُظهر عزم جميع الأنبياء على مشاطرتهم موقفَ
ابن آدم وعلى مقاومتهم الشّرّ والصّبر على الظلم الذي ينزله
بهم شعبهم. ويدأبون في الدّعوة إلى الحوار ويتحملون تائجَ
ذلك جميعها. ويرفضون أن يردوّا على الأذى الذي يلحق بهم
بأذىٰ مثله. فهم عازمون على عدم التّردّي في قانون العنف لأنَّه
يُعدُّ في نظرهم تجديداً).¹

1 في حوار مع جودت سعيد بخلة قضايا إسلامية معاصرة أجراها عبد الجبار الرفاعي.



المنطلقات الفكرية و"الميتولوجية" لنظرية اللاعنف عند جودت سعيد

تتمحور طروحات مقاربة جودت سعيد للاعنف حول ثلاثة مركبات أساسية نجدها كنظرية متكاملة استقاها من النصوص القرآنية المتعلقة بقصة خلق آدم، وبالرغم من انه انطلق من خلفية ميتولوجية "لاهوتية"، فقد هدف الولوج الى المعنى الرمزي والمغزى اللاعنفي دون إلزام الغير بضمون النص كحقيقة تاريخية، ليصل الى خلاصة أن الفساد وسفك الدماء هي مشكلة البشر وأن الإنسان بوصفه كائنا عاقلا يختار بوعي، فإن عليه تحمل مسؤولية تبعات أفعاله وأخطائه، وان للعقل دورا مهماً وسلطة تتفوق على

كل عنف وهي مرحلة تدشن عهداً جديداً في تاريخ الحضارة البشرية و نقلة نوعية في الوعي الإنساني.

أولاً: مفهوم الفساد في الأرض ودور الكائن الإنساني فيه¹ :

أن الملائكة اعترضت على خلق الإنسان في لحظة الخلق الأولى: و﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ فأجابهم الله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وهذا النص كما نفهم من التاريخ، يرسم الأفق الذي يتحرك إليه الإنسان، فالإنسان وإن بدأ في الفساد وسفك الدماء لكن منحى تطوره واتجاه تقدمه هي: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وإذا كان البشر إلى اليوم لا يزالون يعيشون حسب توقعات الملائكة، حيث الفساد وسفك الدماء وشن الحروب، فإننا نرصد في التاريخ ما نقرؤه في الكتاب من خطو الإنسان باتجاه ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة، 30]. كإشارات على بدء تحقق علم الله في الإنسان.

الله قال الحقيقة عندما قال أن الملائكة لا يعلمون أن الإنسان سيتجاوز المرحلة التي يُفسِد فيها ويُسفِك الدماء. في

¹ جودت سعيد، كن كابن آدم، مرجع سابق، مبحث: ابن آدم ومشكلة الفساد

الحقيقة، نحن لا نكتفي بالتكهنات، لأننا نرى في العالم أن هذا الأمر بدائي؛ وسيتحقق في مستقبل غير بعيد جداً¹ مع ذلك، يشير جودت سعيد إلى أنه في الوقت الحاضر ما زال تاريخنا، للأسف، يحقق نبوءة الملائكة بحق نوعنا البشري.

ثانياً: مفهوم الإختيار و مبدأ تحميل مسؤولية²

(إن صنع الأسباب يكون بالاختيار لا بالحتم. ولكن حدوث النتائج حتم. فبهذا الشكل صار الإنسان مسيطرًا على الحتم، كما أن الإنسان حين يَغْفُل عن سنن الله، فإن سنن الله لا تغفل أن تأخذ طريقها دون شعور من الإنسان الغافل. وحينئذ لن يتمكن الإنسان أن يرى للتاريخ أسباباً، وإنما يرى أحداثاً حتمية، لا دخل لجهد الإنسان فيها. فمن هذه النظرة تنشأ القدرية..).

وفي قصة آدم وزوجه تحملا نتائج صنيعهما عندما أوصاهم الله: «لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةِ»، لكنهما نقضوا الميثاق، فأكلَا من الشجرة المحرمة وعندما ناداهما ربهما «أَلَمْ أَنْهَكُمَا

1 جودت سعيد يُعرِّفُ بنفسه.

2 جودت سعيد، الإنسان كلا وعدها، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط 1، 1993،
مبحث بعنوان: نظريتنا التاريخ.

عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ» كَانَ جَوَابَهُمَا: «رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا» [الأعراف، 19-23]، فاعترفا بالخطأ وتحملوا مسؤولية فعلهما، وهذا يمكن أن نقرأه على أنه جواب على اتهام الملائكة في النص السابق، ورسم ملامح سبيل الله، سبيل الإنسان للتقدم في التاريخ، مقابل سبيل الشيطان الذي يبرر معصيته مرة بحججة عنصرية «أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ»، ومرة بحججة فلسفية «فِيمَا أَغْوَيْتَنِي».

ويتبين مما قدمنا أن القرآن يؤكّد تدخل جهد البشر في صناعة أحداث التاريخ. وبمقدار وضوح هذه الحقيقة في آيات القرآن فإنها غامضة بالنسبة للمسلمين.

وخلاصة القصة إن تبرئة الذات واتهام الآخر ليس حلاً للمشكلة، وإنما ابتعاد عن سبيل الحل، إن الحل يكون باتهام الذات، والبشر جمِيعاً حتى يومنا هذا على مذهب الشيطان في تبرئة الذات واتهام الآخر، وليس على مذهب آدم في اتهام الذات الذي تدعمه سنة التاريخ وحقائق الحياة ومنهج القرآن.

«مَا أَصَابَكُمْ مِّنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُمْ» [النساء، 79].

وعملية فهم أحداث التاريخ بهذا الشكل الذي يتدخل فيه جهد البشر، يساهم مساهمة كبيرة في إيجاد شرط أساسي من شروط الفعالية؛ وذلك لأن هذه النظرة لا تؤدي إلى نتائج نظرية

فحسب، بل تتخلى في تكيف سلوك الإنسان أمام الأحداث وتضع الإنسان في المكان المناسب له في هذا الكون.

ثالثاً: اللاعنف والعقل¹.

إن استهلال التاريخ الإنساني لم يكن بالقتل أو بالجريمة، وإنما كان بخيار إنساني يتناسب مع هذا الخلق الجديد الدماغ الإنساني، فكان اللاعنف، ورفض القتل وسفك الدماء، وعدم الدفاع عن النفس بالعنف.

وال التاريخ سجّل هذه الشهادة مرات كثيرة، وكان أكثر المرات وضوحاً، في موقف سocrates وتحديه بقبول الموت، على أن يوقف حواره مع الجهاز العصبي، أو يتخلّى عن واجبه ومسؤوليته.

ويمكن ان يقرأ المرء ذلك في قصة ابني آدم، فالذى فشل في عمله قال للآخر: «لأقتلنك»، لقد اتهم الآخر بأنه سبب الفشل، بدل اتهام ذاته، ورأى القتل سبيلاً للحل، لكن الإنسان الذي أدرك إنسانيته وعرف نعمة الله في الدماغ الذي وهبه، أبى أن ينتكس إلى عالم العضلات، بعد أن عرف نعمة العقل فأجاب:

1 جودت سعيد، الدين والقانون، مرجع سابق مبحث: قصة ابني آدم.

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِيَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة، 27-28]، لقد رفض أن يشارك في القتل بإصرار ووعي وتحمل للمسؤولية والتعbutات، لقد أدرك إنه يملك سلطة جديدة هي سلطة العقل، وعليه أن يستخدمها فدشّن بهذا عهداً جديداً، شكل نقلة نوعية للتاريخ والوعي الإنساني.

وسواء أكان الموضوع يتعلق بحادثة تاريخية أم بقصة رمزية، ما يبدو مهماً في هذه القصة هو الطريق الذي تدلّ عليه لكي ترقي البشرية إلى مستوى الروح.... ليس هناك في موقف هابيل أي تردد ولا أدنى شك. إنه مصمّم وعازم على مواجهة نتائج موقفه.

فهابيل، وهو يخاطر بالموت كي لا يرتكب القتل، يُظهرُ المسؤولية الأخلاقية التي ينبغي على الإنسان أن يتجشّمها من خلال رفضه أي تواطؤ مع الشر.

وهكذا فإن التاريخ، بحسب أسطورة آدم التي رواها القرآن، لم تبدأ بجريمة قتل بل بفعل لاعنفي فالرواية تضع البشرية مباشرةً أمام خيار وجوهٍ بين العنف واللاعنف.

خلاصة

يريد جودت سعيد ان يحييك نظرية اللاعنف المتمحورة حول هذه القصص وهو الثقة بالإنسان ومستقبله، وتأكيد أهليته لعمارة الأرض، والإيمان بقدرة الإنسان على وقف الفساد وتوطيد العدل، من خلال تحمل البشر عموماً والمثقفين الحكماء خصوصاً مسؤولياتهم في التاريخ، فعليهم ألا يتظروا بالخلاص فكلهم مخلص، عبر سبيل الله، وطريق ابن آدم، طريق احترام عقل الإنسان، الذي يعني تلقائياً اتهام الذات وسلوك اللاعنف، والإيمان بالعقل أسلوباً لحل المشكلات، هو استبعاد بطريقة آلية للعنف والقتل كحل أو أسلوب لحل المشكلات.



المرتكزات العقدية للاعنف عند جودت سعيد¹

تبليور نظرية جودت سعيد في الاعنف من خلال محاور "عقدية" وجودية يقدم من خلالها قراءة جديلة عميقة للنص الالهوتي والمصطلح القرآني، تلخص بمحاور ومفاهيم ترابط فيما بينها، وتوضح علاقة الإنسان بالكون والمكون والكائنات من خلال اعتماده وتركيزه على مرجعية تاريخية أركولوجية وهذه المرتكزات هي:

- توحيد الله
- العدل: «لِيَقُومُ النَّاسُ بِالْقِسْطِ»

¹ جودت سعيد، الدين والقانون، مرجع سابق، فصل: لا إكراه في الدين. وأيضاً كتاب: كن كابن آدم، مرجع سابق، فصل: الإسلام و لا إكراه في الدين.

• الكلمة السواء **﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾**

• اللا إكراه: **﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾**

فتوحيد الله هو إقامة العدل، والعدل هو الكلمة السواء، وهو ما يستوجب اللا إكراه.

(فالعدل بحسب القرآن هو منطلق الشيولوجيا الجدية، لأنه هو التوحيد، فتوحيد الله الذي في السماء ليس مسألة ميتافيزيقية وإنما مسألة اجتماعية سياسية، أيّ أن لا يكون هناك آلة بشرية على الأرض، فما دام هناك أصحاب امتيازات في العالم، فلا سلام ولا حقن دماء، بل بؤس في جانب وخوف وقلق في جانب آخر، بؤس ومعاناة عند الغالبية من سكان الكوكب وخوف وقلق عند القلة المترفة، يعني أن يتقلب الجميع في جحيم الخوف والقلق، سواء على لقمة العيش أو على الامتيازات، وحسب القرآن فإن الغاية من الرسل والنبوات هي **﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾** [الحديد، 25]، وهذا ما تبيّنه أيضًا آية السواء **﴿لَيَقُولَ الْمُلُوكُ إِلَى مَلَوِكِ زَمَانِهِ: تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** [آل عمران، 64]

في ذلك إشارة واضحة إلى أن توحيد الله في السماء يعني أن نساوي بين الناس على الأرض. إن هذه النظرة إلى التوحيد والعدل

َتَجْعَلِ الْمُتَالِيَّةِ وَاقْعِيَّةً، وَالْغَيْبِ شَهَادَةً، وَالْإِلَهِيَّ بَشَرَّاً، وَالْخَارِقُ سُنْتِيَّةً،
وَبِهَذَا فَقَدْ صَارَ الدِّينُ عَلَمًا وَكُلُّ شَيْءٍ صَارَ عِلْمًا يَصِيرُ عَالَمًا.

والعدل يستوجب الديموقراطية واللامإكراه وهي الواردة
بقوله تعالى (لا إكراه في الدين) هي الرشد، وأن الإكراه في
الدين هو الغي، فالجملة الثانية شرح وبيان للجملة الأولى،
فجملة (لا إكراه في الدين) بها تبين الرشد من الغي، فالإكراه
هو الغي، واللامإكراه هو الرشد، وكذلك الجملة الثالثة تفسير
وبيان للجملتين السابقتين. **﴿فَمَنْ يَكْفُرُ بِالْطَّاغُوتِ﴾** الذي هو
الإكراه، ومن يفرض دينه بالإكراه، ومن يؤمن بالله الذي يقرر أنه
لا إكراه في دينه وفي الدين كلياً، فمن التزم هذا فقد استمسك
بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

وهنا نكون قد وصلنا إلى فكرة كبيرة جوهرية، هي أن
الدين لا يجوز نشره بالقوة والإكراه، والدين هو تفسير الكون،
أي الوجود كله بما فيه الإنسان.

وعلاقة الإنسان بالوجود وبالناس الآخرين هي المبدأ والنتهي:
**﴿سَرِّيْهُمْ أَيَّاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ
يَكُفِّرَ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾** [فصلت، 53]، وعند هذه النقطة
يمكن بحث الدين، أو فكرة الإنسان عن الوجود، والفكرة التي يريدها

القرآن من الناس في فهم العالم والتي نرجو أن نتمكن من توضيحها من ناحية النصوص، ومن الناحية التاريخية.

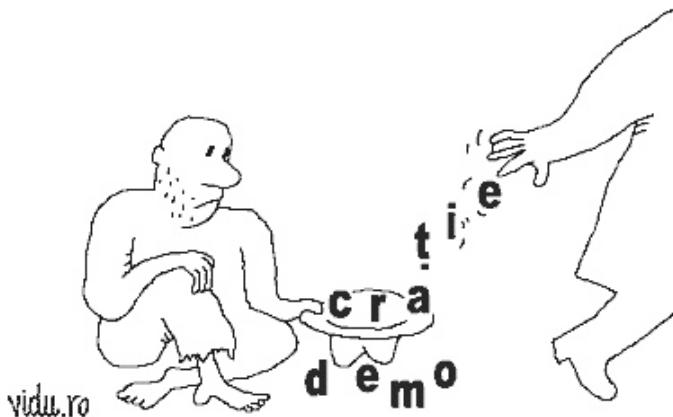
إن العدل وكلمة السواء ليست عدمية، لأن العدل للإنسان ليس عبثاً ولا عدمياً ولا باطلاً بل محاولة إخفاء ذلك أو عدم رؤيته من خلال التاريخ هو العبث، نعم يمكن أن يئس الناس من طول الحياة العابثة التي يعيشونها ولكن الحياة لا تضيع هدفها.

«ولِكَثْرَةِ الْإِنْمَاءِ تَبُرُّ الْحَبَّةُ» المحبيل متى (12:23)¹

ويقول سعيد في محاضرته خلال مؤتمر بلجيكا حول دور الفاعلين الدينيين في بناء السلم والديمقراطية²: (إن هذا التحليل يشعرني براحة عظيمة كيف لا وأنا أستند إلى التاريخ والأنباء وحقائق الحياة، وأدعو إلى كلمة السواء التي يفسرها القرآن بأنها «لَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ» [آل عمران، 64]، أي أن لا يكون أحد فوق القانون، فهذا هو الشرك، وهو الذنب الذي لا يغتفر، وهو الظلم العظيم الذي يحيط كل الأعمال ولا تنفع معه بقية الطاعات، وهو المنتج لكل مأسى التاريخ، ألا من كان له أذنان للسمع فليسمع.

1 جودت سعيد، الدين والقانون، فصل لا إكراه في الدين، مرجع سابق.

2 Jawdat Said Mohamed , During the seminar: The role of religious actors in peace-building, Ibid , 2 Dec 2009



الديمقراطية واللاعنف عند جودت سعيد

إعلان موت الحرب

يرى سعيد ان التطور البشري وسيورة الحضارة الإنسانية تدفع الإنسان رغمًا عنه إلى الديمقراطية التي تعني العقل والإقناع والسلم، ويشير إلى انه وبحسب هذه الرؤية للتاريخ "فقد أعلنت موت الحرب" ، مع أول تفجير نووي، فالكتار لم يعودوا قادرين على الحرب، ولكنهم يستغلون جهل الجاهلين ويستثمرون جهلهم ببيعهم الأسلحة، إن الحروب قرابين البشرية، والقتل لم يكن يوما حلاً لمشكلة بل هو مفاقمة لأي مشكلة كما يعلمنا درس التاريخ.

إن وجودنا في هذا العالم ليس عبًدا، ولا باطلًّا، ولا لعًبا، إن سعادة الإنسان تتبع من خدمته لقضية عادلة. وأعظم القضايا هي أن يتوقف الفساد وسفك الدماء.

إن ما يسجل للأوربيين أنهم لم يبتكرروا وسائل لنقل البشر والمعلومات فقط، بل ابتكرروا وسيلة لنقل السلطة غير القتل والوراثة. وسيلة تحترم العقل الإنساني وتحيي معنى الشرعية وتعطي قيمة لاختيار الناس، كما مارسه النبي محمد في القرن السابع، وكثيراً ما أكرر أن الإنسان هو أعظم ما خلق الله، والديمقراطية هي أعظم ما صنعه الإنسان، وجوهرها أن يؤمن الجميع بعدم اللجوء إلى العنف في حل المشاكل، بل إلى الإقناع وعد الأصوات. إن الديمقراطية خلق جديد، ينمو نحو الأفضل، إن (ديمقراطية: جعل العالم ديمقراطية كبيرة) العالم هو التحدي الذي ينتظر المثقفين والساسة حتى يصبح العالم أكثر أمناً وراحة للجميع.

لقد انتهى عهد الأنبياء وانتقلت المسؤولية إلى أهل العلم ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، ومن الظلم إلى العدل ومن الاستعباد إلى الحرية، من الفساد وسفك الدماء إلى **﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**، إن أقرب الناس إلى الله هم الذين

يُقدِّمون الخدمات لإخوانهم البشر، والأنبياء جاؤوا ليتنافس الناس في فعل الخير، فلنتنافس نحن كيف نصنع السلام العالمي، وكيف نصنع المجتمع العالمي الذي يتساوى الناس فيه أمام القانون، ونكون بذلك حرقنا إرادة الله وأمنية الأنبياء.¹



1 المرجع السابق نفسه.

لامعة

لا يهم إن كان المرء "مؤمناً" أم لا، فهذا شأنه، فلتكن لكل امرء طريقته الخاصة لاكتشاف إنسانيته النابعة من فيض قلبه.

أسائل نفسي: أليس من الأجدى إقامة السلام في قلوبنا بدلاً من إقحام النفس في التتنظير لحل خلافات الأغيار؟

ان شدّة انشغال المرء بالتنظير تحجب عنه رؤية الأمور ومعاينتها واختبارها؛ فذاكرتنا التعودية التي تتکرّع على الانفعالات والتداعيات تقطع عنا مجال الادراك الداخلي.

أليس في نقل أفكارنا بإلحاح للغير والاستمامة في تطبيق نظرياتنا كارثة تعمي عن رؤية الواضح الجلي؟

هذا ما أختبره ربما... ولربما الخير كل الخير في ترك الآخرين وشأنهم ليجتازوا بخبرتهم الفطرية مراحل غموضهم واكتشاف إنسانيتهم.

ان ما جمعته، عن الآخرين ومنهم، في دفتي هذا الكتاب على الرغم من قصوره، ليس إلا شاخصة تشير الى سلام الإنسان الداخلي، ولعل التشبيث بحرفية كلام العرفاء

والمستنيرين يعيق دون الوصول قدما نحو تحقيق هذا السلام، لأن التمسك بحرفية التعاليم يحول دون الخبرة التي على المرء ان يتذوقها بقلبه لا في كراسات الوصايا وبين الكتب.

فليبيتكر كلّ امرء منا لاعنفه ويختبر إنسانيته بنفسه، عندها سيرى أن جوهر الاستنارة اللاعنفية قابعة فيه وان تعددت مسالكها لأن الوحدة الإنسانية واحدة!

استراتيجيات الأمل



النَّمَاءُ الْمَادُّ مَعَ الرُّوحِ فِي إِطَارِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ



عبر نحو السلام

”لما كان أنصار أو أتباع الموقف السلبي يذهبون مذاهب وعقائد شتى ومتعددة تتناسب مع مصالحهم الفردية أو الفعية أو مع مستوى إدراكيهم المتدني، فقد تجزأت وجهة النظر المبدئية إلى وجهات نظر متنافرة، أو متناقضة أدت في نهايتها، إلى خلافات تجاوزت حدود الاختلاف“¹

ندرة اليازجي

في ظل الظروف العنيفة يبقى لنا الأمل والحلم، وبقلبٍ منفتح يتلمس المرء جوهر أن ما يستبد بنا هو ”احتميات“ اخترعَت نصفها

¹ ندرة اليازجي، ثقافة الحوار والتسامح، مرجع سابق، ص 20.

بأنّها منطقية، ولكنها "منطقية" فقط ضمن إشراطات محيطها الجغرافي والزمني والتاريخي... وهي على الحقيقة ليست حتمية مطلقة ودائمة، و هذا الأمر ينسحب على كل المفاهيم بما فيها الفلسفية...

فهل علينا أن نواصل عنفنا المقنع بالمنطق من خلال

"صراع الحتميات" أم أننا نستطيع ان نعبر ونتجاوز ونغير؟

يمكن العبور بطبيعة الحال عبر إدراك المستويات المتعددة للواقع وتجاوز البعد الزمني والمكاني المقيد، واعتماد أسلوب ذهني غير منفعل يعتمد طريقة مختلفة لإدراك الواقع، بحيث نرى الشيء عارياً محرداً دون معرفة ذهنية قبلية وبدون تشويش انفعالي.

لغاية اليوم لم يكن الكائن الإنساني متحضرّاً أو متفقاً أو متدينّا، فباسم الحضارة قام بجميع الأفعال الوحشية تحت شعار الدين ارتكب الموبقات، وفي ظل الثقافة مارس جميع أنواع البدائية والحيوانية!!

لقد ابتعد الإنسان عن الحقائق الوجودية وأننا ككائنات بشرية جمعينا واحد، وهذا ليس من باب الافتراض الطوباوي، بل أيدّته تجارب جميع الحكماء على مدى العصور التي أثبتت أن الوجود بكلّياته وحده وحدها عضوية.

إنها رؤية ترقى بالإنسان لاستخدام تفكير إيجابي لا يغفل عمل الروح، ويوضع خبرة الكائن في إطار وحدة الوجود، فتتلاشى الصراعات وتتولد الحلول، إنها مسألة عبور نحو السلام...

”أَسْلَكْ طَرْقًا تَقْطَاطِعُ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ
أَعْبَرْ مَسْتَوَيَاتِ الْوُجُودِ
أَعْبَرْ الْوَاقِعَ وَالْذَّاتِ
أَتَبَرَّ مِنْ كُلِّ الْأَزْمَانِ
أَطْيَرُ إِلَى أَبْعَدِ مِنْ أَبْعَدِ جَوَهْرٍ
أَتَجَازَ الْأَسْبَابَ... وَالْمُسَبِّبَاتِ
أَمْرٌ.. فَوْقَ كُلِّ الْكَلْمَاتِ وَالْتَّسْمِيَاتِ
هُنَاكَ عِنْدَ الرُّوحِ تَهْدَأُ رُوحِي
فَمَا آلَمْنِي... صِرَاعٌ أَدْلَجَتْ أَطْرَافَهِ
وَأَكْتَوَيْتْ لَجْرَحِي أَيِّ كَائِنٍ...¹
وَأَعْبَرْ الْيَوْمَ لِأَجْلِ إِنْسَانٍ”

1 من ديوان: معابر الروح، للكاتبة الصادر عن دار شمس 2008، قصيدة معبر سلام، ص 97.

لامعة

إنّ العالم يتحرك بإيقاع دوري حركة دائبة في صيروحة أبدية، والكون يعمل بمقتضى ناموسٍ ينسحب على كلّ الكائنات بما فيها الأدبية، فالقانون الكوني يسري في تناغم الواحد مع الكلّ فجميع خصائص الكلّ وصفاته تنطوي في الواحد. وأنوبيّة الإنسان توجّه سلوكه، فإنّ كانت مُثقلة بذاكرة أليمة مشحونة بماضٍ موجع فإن سلوكها الحاضر يحمل تشنجات الذاكرة التي من شأنها أن تتعكس بردود فعل إنجعالية في السلوك، فيصبح الحاضر عنيفًا يكتنز الغضب الماضي كله بصراعاته، مع تنامي الرغبة في جعل المستقبل ميدان للانتقام أو لتصفية الحسابات أو لتحقيق رغبات لم يتم إشباعها سابقًا، مما يعني استمرار العنف الممتد من الماضي إلى المستقبل.

إن الانعتاق من ذاكرة الماضي المؤلم واختبار الحاضر بوصفه واقعًا حيًّا من شأنه أن يحرر الإنسان من عنف الأنما المفعولة، إنها ببساطة شديدة، إبداعٌ فريد من شأنه أن

يُحقق اختباراً حقيقياً للذات في واقعها المعاش بجيوية عبر وعيٌ الإشارات المتحكمة في الأنا.

وعندما يرى الإنسان التناقضات المتحكمة فيه فإن تحولاً حقيقياً سوف يحرر الفرد من معضلة العنف والفساد، إنها رؤية الموجود بدون تصورات ذهنية مسبقة ومن دون بعدها الزمني.

"فالذهن المثقل بالأحكام المسبقة عَصَيٌّ على الحرية" ¹

1 ديفيتري أفييرينوس، في تقدیمه لترجمة كتاب "التأمل" لكريشنامورتي، ص 6.



الحصاد المرّ

ماذا بعد تراجع القيم الإنسانية؟

"من أجل حكم الشعب والتعامل مع الطبيعة، لا شيء أفضل من مبدأ الال فعل"
لأوتسyi¹

ومبدأ الال فعل في الحكمة الصينية يتمحور حول ترك
البشر على سلبيتهم الطبيعية وفطرتهم الإنسانية الخام دون

1 لاوتسyi LAO ZI، اسمه لي أر ولقبه دان، و "تسyi" لقب شرفي للحكماء، وهو حكيم صيني - طاوي زامن كونفوشيوس، لا يوجد تاريخ دقيق لولادته بيد انه عاش في دولة تشو في الفترة ما بين 475 و 722 ق. م، ويرجح انه كان في القرن السادس قبل الميلاد. تساي شي تشين، لاوتسyi، سلسلة الحكماء يتكلمون، دار النشر لتعليم اللغة الصينية، بكين، الصين، 2008، ص 206.

LAO ZI says ، Sinolingua، Beijin ، China ، 2008، p 206

تشويهها، ودور الحكام في سياسة الرعية يكون عبر مساعدة الإنسان للعبور نحو السلام، والخدمة من أجل إعادة الحضارة إلى أحضان الطبيعة.

إنها رؤية سياسية لحكماء الصين قبل أكثر من ألفي عام! إنها تتمحور حول خدمة الطبيعة والإنسان وهو ما يعرف بفلسفة "الداو" اي "السبيل" إلى الطمأنينة.

فكيف هو حال سياسينا مع البشر، نحن أبناء الألفية الثالثة؟ قد تبدو الأزمات متفرقة غير أنها في جوهرها متشابكة وتمحور حول غياب الإنسان، ففي عصر عولمة رأس المال وانتصار نموذج السوق ولو على المستوى النظري، تدهور العامل الإنساني وتراجعت القيم الإنسانية بشكل ملحوظ، وترجعت إرادة الفرد وقوته، حيث أمست القوة الاقتصادية المطلقة تهيمن على قرارات الدول، وتکاد تكون المرك الأبرز الوحيد للعلاقات.

أمام تلك المنعطفات الحادة يصبح واضحًا أمام البشر، أن الخسارة الكبرى بالنسبة لهم هي فقدان الثقة بالعامل الإنساني، فالصراعات السياسية هي في حقيقتها صراعات "إرادوية" حيث يحاول كل طرف الضغط على الآخر للإسلام له بحيث يفقد هذا الآخر إرادته في المقاومة ومواصلة النضال.

إن تراجع العامل الإنساني في العمل السياسي وال العلاقات يقلب نظام الأشياء إلى فوضى عارمة، فتحوّل البنى المؤسسة للحياة وأهدافها؛ لذلك فالتجارب أثبتت فشل الانظمة الشمولية، كما فشلت السياسات التي لا تتجاوب مع الواقع واحتياجاته ومتطلباته ومستوياته بما فيها الانظمة الديموقراطية والعلمانية، وذلك عندما أهملت المكونات المتكاملة للإنسان؛ لقد انهارت الماركسية الشيوعية وفشل لأنها ربطت تخلّف الأمم بالبنية الاجتماعية والاقتصادية المادية دون سواها من العوامل الأخرى المكونة للإنسان؛ والرأسمالية الجشعة اليوم فشلت بالتأكيد لأنها شَيَّت البشر وحولتهم إلى سلعة تُباع و تُشتري لصالح الدول الأخرى في العالم المتحكمه برأس المال.

لقد فشلت كلّ هذه الانظمة في صنع جنة الله على أرضه كما وعدت شعوبها، لأنها لم تستطع الارقاء بمستوى الوعي والمعرفة والارادة عند الشعوب، كما أنها لم تتعامل مع أبعاد الكائن الإنساني المتكاملة بما فيها النפשية الروحية، بهدف تحقيق أكبر قدر من انسجامه مع الوجود من خلال الأخلاق والوعي والفضيلة.

وفي هذا السياق يقول المفكر ندرة اليازجي:

”عندما ينقلب النظام إلى فوضى، تتحوّل أسس الحياة من وعي أو معرفة إلى جهل أو لا معرفة، ولما كان واجب الإنسان

يتمثل في الوعي والفضيلة، فإن كل عملية أو اختبار في نطاق النظام تتحقق له ما يريد وكل عملية فوضى تقضي على إنسانيته، لذا كان النظام ضرورة كونية لأنّه يمثل الإطار التي تعمل فيه قوى الوعي كلّها¹

إن المنطقة العربية شهدت ولادة قيادات فكرية متنورة قدمت الكثير من النضالات والتضحيات غير أنّ ذلك لم يكن كافياً للنهوض، والسبب ربما يعود إلى أن هذا التنوير لم يكن متكاملاً ولم يتناول الأبعاد الإنسانية كلّها ولم يتمكن من الانفلات من الماضي، فغالباً ما نرى أنّه "تنويراً" من جهة واحدة وبجهة واحدة فقط ويرتكز على "التاريخ"، فكرًا أحادي البعد لا يتناول سوى الجانب المادي من حياة الكائن الإنساني، واننا لغاية الآن برغم من التطور الهائل الذي حققناه كبشر على مر العصور، نقوم باسم الحضارة والثقافة والدين بكافة الأعمال القمعية والبربرية مُلقين التّهم على الآخر، مبتعدين عن حقيقة أن الوجود بكلّيته وحدة عضوية، الأمر الذي حولنا إلى طوائف متصارعة وذوات متناقفة، تُكرّس الأنوية السياسية التي تتشكل من مجموعة توترات نلف أنفسنا بها ونعيش في سياجها

1 ندرا الياجي، فلسفة الإنسان الثائر، مرجع سابق، ص 96.

كما حُول الطاقة الجماهيرية إلى عنف جارف، في ظلّ اختفاء شبه تام للقيم الجمالية والأخلاقية ومفاهيم السلام.

إن السياسة الأدوم نجاحاً، هي تلك التي تعتمد على استراتيجية منسجمة مع ايقاع الكون وتناغمه الطبيعي، وقد يبدو هذا الطرح حلماً صعب المنال، غير انه آن لنا أن ندخل الى الفكر السياسي من خلال الفن والجمل والقيم وبشكلٍ معاصر، والمعاصرة هي ان نخيا مستوى اللحظة الآنية لعصرنا ولواعتنا، فهي اللحظة الحيوية انها نقطة بروزخية بين مستويات الواقع كلها وهي نقطة دائمة التطور والتحرك في آن معاً.

أما على مستوى علاقات الشعوب مع بعضها البعض، فلابد من افتراض حجة أخلاقية كاملة ومستند قيميّ مفاده أن أصحاب القضايا العادلة¹، لم يُنصلت لهم ولم يؤخذ وضعهم الإنساني بعين الاعتبار يوماً في المجتمع الدولي بشكل كامل، وان

1 ان القضايا السياسية العالقة: الفلسطينية، والعراقية واللبنانية والسودانية... جراح نازفة في المنطقة، ولعل اعقدها القضية الفلسطينية فالأطراف جميعها بما فيها التي وقفت شبه اتفاقيات مع اسرائيل سعيت "باتفاقيات سلام" غير مؤهلة الى الان لتنبّل فكرة التسامح ب رغم ما حصدته من مأسى، والاتفاقيات الموقعة كلها ليست الا حبرا على ورق كونها تحمل في طياتها بذور الصراع والعنف وهي بنود شكلية وُقّعت بين "أنظمة عنيفة" لا تمثل شعوبها ولا تتضمن بنودا عادلة كإعادة الحق الى أهله، فيما الشعوب أيضا لا تزال تعيد انتاج العنف في ظل الغياب الشبه التام للوعي، و"المجتمع الدولي" متفرج لا يعمل حتى على ادانة الجرائم الإنسانية...

كل شعوب المنطقة، امام تاريخ طويل مشترك من الاضطهاد والمعاناة الإنسانية وانهم موجودون على مساحة جغرافية لهم فيها مشروعيه إنسانية، ويجب ان يحيوا فيها كشعوب وطوائف وأديان جنباً الى جنب بسلام وتكافؤ، مرتفعين لمستوى التحديات لا أن يبقوا فيها عرضة للتسويفات المذلة والعنف المستباح.

فمن حقنا كبشر أن نحلم بالجمال ومن حقنا كما من حق

غيرنا من الكائنات ان نحيا بسلام!!

أفق

الابتكار فن عظيم في الحياة وله تخلياته في جميع مناحي الوجود ويمكن ترجمته في كل وجوه المعاش والتعاملات بما فيها السياسية والاقتصادية بطبيعة الحال. للأسف، لا زال سياسيونا عاجزون ودون درجة الإبداع بمراحل بعيدة لأنهم إلى الآن لم يتذكروا طريقة توقف مأساتهم إنهم دمويون وحمقى وسفاحين وغزاة...

البشر يعادون بعضهم بعضاً، لقد حلوا ذاكرا يأسهم ويستغونها بشكل رتيب متكرر، حتى نسوا أنهم جميعاً مخلوقات على كوكب واحد وانهم ينتمون جميعاً بجنس آدمي واحد، وأن المسرة لا تُجلب لبعضهم دون بعض، فكلهم في مركب الوجود شركاء، وانه لا يمكن أن يعم السلام والأمان لبعضهم إن حرموا البعض الآخر منه، وأن العدالة كل لا يتجزأ، وأن سعادة البشر لا تكون بإتلاف الطبيعة وإفساد البيئة والتلاعب بأجنحة الحيوانات وغذائهما.

يقول ميخائيل نعيمة: "صلوا من أجل خير جميع المخلوقات. فكل ما كان خيرا لأي المخلوقات كان خيرا لكم كذلك، وكل ما كان شرا لأي المخلوقات كان شرا لكم كذلك" ¹

1 ميخائيل نعيمة، كتاب مرداد منارة وميناء، مرجع سابق، ص 142.



العقل المُفْخَّحة التفكير المنفعل و حالة الابداع

"كلّ من شاء أن يلطم الجرم بيمنيه، يجدّر به أولاً أن ينظر
ببصيرة ذهنه إلى روح من أوقع الجرم عليه " 1

جبران¹

1 جبران خليل جبران، النبي، مرجع سابق، ص 114.

إن العقل السياسي المبني على الذهنية الانفعالية يسعى إلى تكريس العنف ويتجلّى ذلك في مظاهر القمع المتنوع وفي درجات الخوف المصاحبة لذلك، مستخدماً لذلك الخطاب الإيديولوجي ذريعة لسلوكه، بحيث يصبح النص اللاهوتي سلحة عراك مفتوحة للاجتماعي والتربوي والفكري والسياسي، وتهدّف السلطة كما الأطراف المتصارعة من خلال التأويل إلى إعطاء "إيديولوجيتها" المنشرونية الأولى والعلية.

لذلك نجد أن العقل السياسي المسيطر يسعى دوماً إلى دعم الخيارات العنيفة، والسبب في ذلك يكمن في أن السلطة السياسية تريد ضمان سيادة إيديولوجيتها الحاكمة التي تضمن لها إعادة انتاجها من جديد وذلك من خلال أمرين: أولاً: ابقاء استمرار سلطة القوة والفكر المنفعل على حساب الابداع.

ثانياً: ابقاءها على داوم المركبات البنوية الداعمة للعنف في المجتمعات التي تسيطر عليها.

فالسياسي لا يقرّ عملياً بضرورة أن يكون الحدس و أسس التكوين والبرهان والنقد أساساً ديمقراطية، والسلطة السياسية تتهرب دائماً من حق الآخر بالاختلاف معها، مع ما يرافق ذلك

من كتم الحوار ومارسة شتى انواع القمع لذا فهـي العدو الأول للابداع.

و تتمظهر هذه العلاقات الانفعالية من خلال نزاعات وحروب دامية، تتشكل بسرعة مذهلة، لا سيما في التجمعات العنصرية، التي تخشى على هويتها بشكل دائم عبر إرغام أفرادها بالاستمرار في الصراعات وتكريس المفهوم المعتمد في خلفيتها الفكرية القائم على "النصر" أو الهزيمة، وأن الغير هم على خطأ وأنهم يستوجبون العقاب....

إن ذهنية كتلك، كثيرة الضوضاء والانفعال ولا يمكن لها أن تبدع السلام، وجل ما يقوم به بعض مثقفي اليوم لا يتجاوز استنتاجات انفعالية غير متنبجة على المستوى الحضاري لأنها ليست نابعة عن خبرة داخلية روحية معاشرة، وهي ذهنية جدلية تعتمد الصراع وقودا لها، وهي عاجزة ومحذودة وترتؤد إلى إعدامات جماعية معنوية ومجازية حسية.

إن أحوج ما تحتاجه الإنسانية اليوم للتخلص من الصراعات هو اعتماد حالة تغيير التفكير السائد حاليا، وتحتـلـف تماما عن منطق من يصنـفـ انه الخصم او "الآخر"، من خلال وعي حالة الابداع الكامن في وعي الإنسان، والعبور من

أسلوب الصدام الادراكي Perceptual Clash الى اسلوب البناء والتصميم الابداعي Creative Design. هذا الاسلوب يعتمد أمررين¹:

- الأول: الخروج عن المذهب العقلي الادراكي الصرف الأحادي البعد.
- ثانياً: اعتماد استراتيجية "تشتيت الصراعات" من خلال وعي إشراطات الواقع المعاش؛ وإنني أفضل تسميته بالخروج الدائم من مستوى الصراع لأنها حالة السلام مع الذات.

فالمذهب العقلي الصرف Intellectualism بوصفه اتجاهًا يرد الأحكام الى ذهن الإنسان فقط لا الى إرادته، ويغلق الباب أمام فهم الظواهر اللاإرادية والوجودانية علمًا أن بعض العلماء يعتبر أن المواجه جزء من عمل الذهن نفسه.

والامر الآخر هو الخروج عن تركيبة النزاعات، دي كونفلكتشن De-confliction، والاجواء المهيئة لها، وهي بجمل الأمور التي تحدث عمداً قبل نشوب النزاع الفعلي... إنه

1 للإطلاع على موضوع علاقة طريقة التفكير بالصراعات العودة الى: Edward De Bono: Conflicts ، Aitken & Stone Ltd ، London UK 1997

تفكك لملكة الإرهاب الفكري، واعتماد رؤية تربة الحرية عبر البصيرة، بحيث ترى الأشياء كما هي لا كما نُريد.

خاطرة

يقول أوشو: "الإبداع حالة من الوعي متناقضة على الصعيد الظاهري. إنها فعل من خلال اللا فعل" و"الحياة تتعدى المنطق، إنها تناقض، إنها سر" ¹

1 Osho ' Creativity: Unleashing the Forces Within ' Insights for a New Way of Living. Osho international foundation ، New York ، USA. 1999. Act in harmony with nature p31 - Memory & imagination p 136



1 نحو انقلاب "فكري"! تفكيك مملكة الارهاب في الفكر الإنساني

"كل شقاء الناس يأتي من أنهم لا يعيشون في العالم، بل
في عالمهم"²
هيراكليتس

1 بالامكان العودة إلى كتاب المؤلفة المعنون: "فكّر على ورق: محاولة جديدة للإبداع"، دار الدوسرى، المنامة، مملكة البحرين، 2009.

2 هنري برونل، أجمل حكايات الزن، ترجمة محمد الدنیا، مراجعة: محمود رزوقي، سلسلة إبداعات عالمية، العدد 353، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل، 2005، ص 29.

إن نقد الواقع وفهمه لا يمكن أن يكون بمعزل عن فهم البنى الفلسفية المؤسسة للفكر الإنساني، ولعل سبب "الظواهر" التي تطفو في المجتمعات الإنسانية بما فيها "السياسية" و"الاقتصادية" وغيرها؟ تُظهر أنَّ الأحداث اليومية ليست إلا صوراً متنوعة لانعكاسات الفكر الذي يكتنزُ قدرًا لا يُستهان به من "العنف"، الأمر الذي يجعلنا نتساءل جديًّا حول جدوى توصيف هذه الأحداث وقرائتها وحتى تحليلها، دون التعرُّض إلى بيت الداء وهو "البني المؤسسة لمملكة الإرهاب في الفكر الإنساني!"

منطق عنيف عاجز!

لقد عاشت الإنسانية قروًنا تؤمن أنَّ المنطق واحدٌ في كلِّ الأمكنة والأزمنة، وأنَّ طبيعة الفكر كليّة عند بني البشر ومنهجيتها واحدة، وقد ساهم في ذلك سيطرة الفكر "الأرسطي" الصوري كقاعدة فلسفية أرتكَزَ عليها في مجالِ التطبيق، كما اعتمدَ على الفيزياء الكوانتمية القائمة على مجموعة التنازرات والسببية الشاملة وغيرها من القوانين.

إن سيادة هذا المنطق القائم على عدم تلاقي "الأضداد"، المبني على مبدأ "عدم التناقض"، بحيث لا يمكن أن يجتمع الشيء

وضده، أسرَّ الفكر البشري وأدخله في نفق الحتميات والاحكام المطلقة، وحشر التفكير في زاوية "الثنائيات الضدية" وقسمَ الأمور الى "قطبية" حادةٌ ناجمةٌ عن تفكير "خطيٍّ" ذو بُعدٍ واحدٍ سببٌه المنطق الأرسطي.

وتولَّد عند هذا المنطق التي تبنته المؤسسات الدينية والمؤسسات السياسية واعتمدته الايديولوجيات بالدرجة الاولى، أموراً عدَّة أهمُّها:

اولاً: تشريع النظرة الاستقصائية لكل ما يوصف بأنه "مختلف" ومارسة عنصرية مفرطة بحقه، في اطار يسُوّغ العنف. فالتقسيم الصارم للاضداد "الخير/الشر" "العدو/الصديق" "الكفر/الإيمان" "الصواب/خطأ" ... سُوّغ اطلاق الاحكام المطلقة على من يُصنف بأنه "شرير" وأجاز استعمال الاضطهاد تجاهه.

ثانياً: الاعتماد الكلي على "قانون السبيبة" الشكلي وأن هناك لكل شيء سبباً عقلياً، جعل الإنسان عاجزاً عن فهم "الصدف" بحيث لا يستطيع تفسير حوادث متزامنة لا يوجد بينها رابط عقلي.

ثالثاً: هذا المنطق جعل الطبيعة خاضعة لقوانين الفيزياء، وبالتالي تكون عبارة عن مركبٍ قابلٍ لِإِخْضاعات المنطق

الرياضي؛ علماً ان الرياضيات الى الآن أعجز عن إيجاد صيغة تسمح بالانزياح من عالم إلى آخر، لأن مروراً كهذا سيؤدي الى انقطاع القوانين والقواعد التي ينبغي عليها العمل الرياضي الكلاسيكي.

رابعاً: من ميراث هذا المنطق افتراض ان "الكون" آلة ميكانيكية مؤلفة من تفاعل مواد أولية قابلة للتوقعات، وأن التاريخ يخضع للحتميات.

خامساً: هذا المنطق يؤدي الى عملية الفصل الدائم بين الوجود الواقعي "المحاييث" أي وجود ما هو موجود، والوجود "المتعالي" "وجود واجب الوجود" ..

مرأة "المنطق" في المجتمع والسلطة:

هذا المنطق "الغبي" هو السائد؛ وهو الذي حكم ويتحكم الى الان في "الافعال وردودها"، سواء كانت افعالاً صادرةً عن اشخاصٍ أو جماعاتٍ أو دول، وهو الذي أفرز منظومات اجتماعية تفاقمت أزماتها، والتي هي في جوهرها ولية هذا "النموذج الفكري الرسمي"، تجلّى في عنف سلطوي حاد، والسلطة هنا بفهمها "الشئيّ" لا "الاستراتيجي"، كما أدى

إلى تكريس الصراعات التنافسية من أجل امتلاك السلطة وادواتها التي تعني "البقاء"؛ وسُوَّغ ذكريتها، فوضع الأنثى في مرتبة دُنيا؛ مع تصوير ذلك على أنه قانون إلهي طبيعي؛ علاوة على طغيان مبدأ المنفعة الآنية والمرودية المباشرة القائمة على سلوك الكائن "الاستهلاكي"؛ كما شرّع الحروب والعنف تحت ذريعة ادعاء امتلاك "الحقائق" المطلقة في مناخ "ميافيزيقي" مُبرم.



انقلاب انتظولوجي عودة للروح من جديد!

”أتودون أن تنتقدوا من براهن الشائكة؟ إذن فاقاتلوا شجرتها، شجرة الخير والشرّ، من قلوبكم، اقتلواها بجذعها وجدورها كيما يباح لبذرة الحياة الربّانية، بذرة الفهم المقاس
المتسامي فوق كلّ خير وشر، ان تنمو وتشمر مكانتها“¹

ميخائيل نعيمة

1 ميخائيل نعيمة، كتاب مرداد منارة وميناء، مرجع سابق، ص 319

وفيما تشهد البشريةاليوم، تسارعاً مضطرباً وصورةً جلية، توضح بأن العالم " مليء بالتناقضات" وأن المسافة بين الأضداد قد تكاد تكون معدومة، فإن "المنطق الأرسطي" لم يعد يتماشى مع تعقيدات المرحلة، التي أثبتت بأن ما تعاطى معه الكائن البشري وقتاً طويلاً على أنه "قوانين ثابتة" هي في حقيقتها ليست إلا عادات " فكرية ثقافية" مكتسبة تنتجهما تفاعلات البشر مع بيئتهم الثقافية والطبيعية بكل أبعادها الدهرية: الزمانية والمكانية.

وبناءً عليه فإن ما تعاملنا معه على أنه "حقائق ثابتة" ليس إلا "متغيرات" تتغير باختلاف مستويات الواقع المتغير الذي تنتهي إليه، وما ثبات الأشياء الظاهرة إلى عين تغيرها وتبدلها؛ فهذه الرؤية تضمننا أمام مفهوم مغاير للحقيقة، وتجعلنا نعيد النظر من جديد في مفهوم "كمال الحق"، وعندما ستنتفتح أبواب الإبداع الإنساني على مصراعيها بعد أن أغلاقه المنافقة رحماً من الزَّمن، عشنا فيه تحت وطأة عنف الثنائيات الضُّدية؛ وعندما لا مانع أن تجتمع المتناقضات على صعيد واحد، كما تتجلى إمكانية اجتماع الصواب والخطأ في آنٍ واحدٍ وفي قضيةٍ واحدة.

الامر الآخر ينعكس في مفهوم "الجزء والكل"، ففيما يكرّس "المنطق الأرسطي" مبدأ الفصل والتجزء، فإن وحدة الوجود تفتح افقاً مغايراً عبر اتصال "الوحدة والكثرة"، فيكون الوجود نفسه هو سبباً لتعديلاً لا متناهية، وعلةً لتفاوت آحاد الماهيات، وان للماهيات هويّات لا محدودة، وان الاعيان متغيرة وان كانت ثابتة؛ لأنّه على الرغم من أنّ للکائنات صوراً "استقلالية" ولها ذاتيتها، غير انّ الفصل بين الواقع الحايث (الموجودات) والواحد، أوقعنا في طريق مسدود ومنطق همّش البعد الأونطولوجي وحدّ من ابداع الكائن الإنساني عبر انتزاع البعد الروحي منه. هذا الفكر يجعلنا نعبر اشكالية "التاريخ والزمان" فنتجاوزها لأن الزمان لا يكون موجوداً إلا لأنّه "انقضى"!

انه انقلاب انتطولوجي إذن، ربما سيجد الإنسان نفسه أمامه دون خيار منه! وهو تحبيطٌ لكل مفاهيمنا عن الزمان والمكان والإنسان والوجود والهوية!

انها رؤية كونية تُلهم الكائن الإنساني وترقى به إلى تخوم روحية إن كان للروح تخوم، وتضعنا على تماس بفضاءات فكرية لا متناهية.

نحو رؤية إنسانية كونية:

فلننهدأ إذن ونخرج من حلبة العنف ودوامته، لنغادر الواقع إلى واقع آخر نبنيه وعيًّا وحسًّا وحدسًّا، ونطوي الزمان والمكان، فلنتجاوز الأفكار والمعتقدات، ولنعمل على تأسيس واقع يبني على معرفة الكون الخارجي الذي يتناغم مع المعرفة الداخلية للكائن الإنساني، فكيف لنا كبشر أن نحلم بمجتمع راقٍ متناغمٍ ونخن نعمل على إفشاء الكائن الداخلي الروحي الكامن فينا؟؟؟ إنَّ اختلال التوازن المتعاظم، بين الروح والمادة بوصفها "مردودًا" تُعرِّض البشرية للتهلكة، فالتعامل مع الإنسان المختزل بالواقع المادي المبني على المصلحة المادية وربط قيمة الإنسان بمردوده وبالإنتاج المادي فقط أدى وسيؤدي لا محالة إلا انهيار المجتمعات، لأنَّ الرُّوح بُعد أساسيٍّ من أبعاد تركيبة الإنسان.

فلنحترم الكون، ونحترم الطبيعة، ونحترم الكائنات، ونحترم ذواتنا بكلٍّ أبعادها، ولنحترم حرية أرواحنا، ولنغادر مستوى الواقع الدموي المحموم، إلى أفقٍ مُشرق، يرتكز على الوعي المبني على التَّطوُّر المتكامل للفرد روحًا ونفسًا وجسداً وقلباً، والرقي بالفردي والمجتمعي، وفتح أفق غير محدود للمحبة والتسامح.

إننا ككائنات إنسانية خيرون اليوم وأكثر من أيّ يومٍ مضى، بين أن نتطور على المستويات كافة، أو أن نتلاشى ونختفي في أتون الصراعات والحروب، وهذا التطور الذي تقف الإنسانية اليوم على حافته أشبه ما يكون بخاض الولادة، ويرتبط بالدرجة الأولى بالعلم والوعي والثقافة وعلاقة الإنسان بالإنسان وعلاقة هذا الأخير بالكائنات. أن تكون كائناً كونيّاً، فهذا يعني أنك منبتق عن حضرة تكوين المكون¹، في هذه الحالة أنت تتساوى مع كل كائنات الكون أمام المكون، وعندما نحترم كينونة الكائنات الأخرى، ستناغم تلقائياً مع ما يدور حولنا، فنحب الكائنات ونتوحد معها ونتجاوزها، لأن عملية التجاوز هي أساس الحرية والانعتاق.

عندما سنجد أنَّ ما من شيءٍ وُجِدَ في الوجود والكون إلا تجلٌّ وجوديٌّ ومظهرٌ من مظاهر التكوين، وأنَّ ما من شيءٍ إلا ويتغيَّر

1 للمؤلف بحث فلسفى بعنوان "كلمة إنسانية في حضرة كونية، فصل "حضره كُن" وفيه تتناول مفهوم التكوين كتجليٌّ وجوديٌّ، وأن طاقة التكوين المنبتقة عن الحبة تتجلى بصدور الكثرة التي تختوي مجموع الصفات الخلقية المعروفة بالصبغة الوراثية "دي.ان.اي" والصفات الخلقية وهي "الصبغة الروحية" حيث تتطوّر "الصبغة الahlية في الفطرة الإنسانية" وينسحب ذلك على جميع الكائنات. وفي ذلك اشارة لنص قرآنى "صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة" سورة البقرة 138 وقوله: "إذا قضى الله فائماً يقول له كن فيكون" البقرة 117.

ويتطور في سيرورة مستمرة ونظام بديع، وتغدو كل المتناقضات والمتضادّاتِ مكمّلات لبعضها البعض بحسب مستويات الواقع التي تنتهي إليها، عندها سمعي أنه لا يوجد تطابق تام بين الأشياء بل كل كائن حالة قائمة والحقائق متعددة بعدد الكائنات وهي تخلّيات لظاهر قدرة الخالق، لعلّ هذه الرؤيا تفضي إلى عصر جديد للإنسانية، قوامها روح التواضع، ومشاعر الامتنان للمكّون، والود والاحترام لكياناته وملحوقاته، فتصبح عملية اعتداء الكائن الإنساني على الكائنات الأخرى أمراً متعذّراً.

مع الروح:

من روح ترصد سريان المكون في الكائنات،
وتسمو لتألم جلال جماله، فتتقلب في الوجود
ونوره المتجلّي على المكنّات، يدخل الذوق في
العقل وتنالّف المادة مع الروح وتنصلح الثقافة مع
العلم ويذوب الفهم في القلب، فيقع الإدراك وهو
تمام الوعي عند المستدير ويتوحد مع الكون توحد
اتصال غير منفصل عن الكثرة وتنوعها في
الكائنات، إنها طمأنينة صمت حيث الكلمة التي
لا تعرف التخوم والسلام السرمدي حيث التوازن
الكامل والانتعاق التام.

1 خاطرة: فلك النون¹

إِلَّا مَنْ هَوَى لِأَدْنَى مِنَ الْقَوْسِينِ..لِمَرَجِ النَّهَرَيْنِ بَيْنَ أَجَاجِ
وَعَذْبِ...

لَا بَابٌ "عِنْدَ" وَلَا مَعْبِرٌ "إِلَى"....وَ تَمَرَّقَ الْأَنْوَارُ فِي كَفٌّ عَيْتِقِ...
طُيُورُ فِي فَلَكِ الْحَقِيقَةِ تَدُورِ...تَلْتَقِطُ كُلُّ الْعَيْوَنِ وَ تَنْكِشِفِ...
أُفْرُدُ جَنَاحًا وَ أَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ....بَيْنَ مَعْلُومٍ وَ مَجْهُولٍ.....
فَلَا السَّابِقُ كَانَ وَلَا الْلَّوَاحِقُ تَكُونُ...
الْأَنْهَارُ بِلَا سَبَبٍ جَارِيَاتٍ....وَ السَّمَاءُ عَارِيَةٌ عَنِ الْحُدُودِ...
وَ دَهْشَةُ التَّأْمِلِ فَنِّ الْأَزَلِ، وَ بَرَزَخُ الْقَوْسِينِ فِي نَقْطَةِ النُّونِ!

¹ هذه قصيدة للمؤلفة منشورة في ديوانها: لوامع من بقايا الذاكرة، دار الدوسي، المنامة، البحرين، 2010 ص 59، والنون هي "نون التكوين".



كونية الإنسان ووحدة الوجود

تعددية الواحد ووحدة الكثرة

"ثمة تعددية متنوعة وكثرة ظاهرية في الوجود وثمة وحدة شاملة أيضاً والوجود في جوهره وحدة في كثرة وكثرة في واحد" و"الروح هي وحدة كلية للأشياء، هي الكل الذي يستعمل على الكل".

ندرة اليازجي¹

1 ندرة اليازجي: ثقافة الحوار والتسامح، مرجع سابق ص 33؛ وأيضاً: المشروع الفكري المنشور في معابر، ديسمبر 2008.

"ليس الإنسان بكلّ ما فيه من عوالم سوى وحلاة كاملة"

1 ميخائيل نعيمة

"يسير الإنسان نحو الكمال عندما يشعر بأنه هو الفضاء

ولا حدّ له"

2 جبران

"الذى يرى كل شىء في آتما، في الروح اللانهائي، ويرى

3 الروح اللانهائي في كلّ كائن، هو من الآن فصاعداً منعتق"

4 الأوبانيشاد

" عندما يثبت الفكر صافياً في وحلاة الأشياء، تتلاشى الثنائية من تلقاء ذاتها. إن الشيء هو شيء للموضوع وإن الموضوع هو موضوع للشيء؛ ألا فاعلمنا أن نسبة الاثنين تكمن في النهاية في وحلاة الفراغ. الكل في الواحد والواحد في الكل."

1 تاو هسان

1 ميخائيل نعيمة، كتاب مرداد منارة وميناء، مرجع سابق، ص 102

2 جبران خليل جبران، البدائع والطرائف، الأعمال العربية الكاملة، دار ومؤسسة رسلان، جرمانا، سوريا، ط 2008، ص 373.

3 طاغور، ديانة الشاعر، مرجع سابق، ص 82.

4 الأوبانيشاد التعاليم الأساسية لفلسفة الفيدانتا الهندية عند الهندوس.

يشكّل وجود الكائن الإنساني إشارةً إلى كينونة مُستترة في أعماق الكون، ولما كان الكيان الموجود مرتهن بالظهور المادي ناهيك عن الوجود الروحي، فقد شكلت قضية المعرفة سؤالاً شغل الإنسان على مر العصور؛ بل وأمست وجودية الإنسان رهناً له.

وقد حاول الإنسان فهم المعاني والحقائق التي يمثلها وجوده من خلال وسائل شتى، فطرقت المسألة المعرفية تاريخ الفلسفة بوجوه عدّة ومن خلال درجات ومستويات متفاوتة سواء بشكلها الانطولوجي الغيبي أم ببعدها الاجتماعي.

ومن هنا، فإن الإنسان عندما تأمل محيطه الطبيعي أصبح الكون موضوعاً له فتعاطى معه على أنه ذاك الجزء الخارجي المنفصل عنه، الأمر الذي أشعره بالعجز حيال قوة اعتبرها قاهرة له خارجة عن سيطرته، هذا العجز كرسّته الأساطير والميتولوجية القدية أيضاً.

وجاء الفلاسفة والمفكرون فيما بعد ليكرّسوه من خلال طروحات ارتكزت على مبدأ الفصل التام بين الإنسان كذات

1 تاو - هسان Tao-hsin: بوذي من معلمي الزن ؛ من قصيدة رائعة بعنوان: حول الفكر المؤمن.

والكون كموضوع، واضعين بينهما برزنخاً وحدهاً لا يعيان، فاصلين بين جواهر الأشياء الوجودية معتبرين إن كلّ واحدة منها كيان منفصل.

وانبثق عن هذا الطرح أو واكبه فصل "الأطراف" أو الثنائيات، سواء منها الثنائيات اللاهوتية "الخير والشر، الحق والباطل" ... أو الثنائيات الضدية "الظلام والنور" ... أو الثنائيات الاجتماعية والطبقية " ظالم ومظلوم، حارم ومحروم " ... واعتبر دوماً أن للعصا طرفان. وتولد عن التضاد والتصنيف الثنائي سائر أشكال الصراعات والعنف وأدى هذا الفهم المبني على مبدأ الانفصال بين الكائن الإنساني والكون بوصفه الخارجي، إلى تمرد الذات على تعددية الوجود أو ثنائيته على الأقل.

وتحولت الذات البشرية إلى منفعة غاضبة تحاول أن تستجلب الأثواب الدينية والقوالب العقائدية والاتجاهات الفكرية وتسخر العلم من أجل صبّ جام غضبها على ذاك "الآخر" الخارج عنها الذي يستحق "التأديب" أو الترويض أو "الإلغاء" كونه يمثل شرّاً مستطيراً لا بد من اقتلاعه، سواء كان هذا الآخر ذاتاً مجتمعية أو أي ذات خارجة عنه تنتهي للطبيعة كالحيوانات والبيئة.

وأمست "الأنما" في صراعٍ مع "الأنوات" الأخرى التي لا ترى في غيرها إلا "أعداء" يحيكون لها المكائد ويدبرون الدسائس، وأصبح الفكر البشري يدور في دوامة الخطأ المطلق والصواب المطلق.

إن فكرًا كهذا كثير الشرارة وموّلد للعنف؛ لأنّه على جهوزيّة تامّة لصناعة الصور الموائمة لتصوره الذي يستند على "الخير والشر" القائم في مخيلته، وهو حاضر لإطلاق الأحكام لما هو صائب وخطيء، وهو على أتمّ الاستعداد لأن يسوق سائر المبررات فيلبسُها الأثواب السياسية والدينية والمجتمعية والمصلحية؛ ويُسّوّغ العنف ويجعله حتميًّا، وهو عنف لا يخفى إلا عن إنسان عاجز عن فهم ناموس الطبيعة والحياة.

إذن يحتاج الإنسان لفكرة مغاير لا ينطلق من مبدأ الفصل، بل ينطلق من فهم الكون؛ فهما داخليًّا بوصفه جزءًا منّا نحن البشر وفهم وجودنا من خالله، و يطرح في الوقت نفسه تعدديةً تحلّ محلّ البعد الواحد للفكر الكلاسيكي، وتُعد نظرية "وحدة الوجود" في الفلسفة من أهم النظريات التي خلخلت بنية "الثنائي الميتافيزيقي" من خلال ردّ الكثرة إلى وحدة كلية شاملة.

خاطرة: ¹

من بريق روح تصوّفت في محراب وحدة الوجود... وتدثرت
برداء كوني... وعبرت ببروز إشراقي...
للعاقلات المفتوحة الإنسانية مني "لوامع من بقايا ذاكرة"...
تُطل إلى الأبدية... وتحظ شخاص على دروب الحياة...
تفصح من خلالها روحى، عن بعض تجاربها المعتمدة بجمال
الواجد وبهائه....

محاولة تروي القلوب التواقة لمعرفة الحقائق المُغرقة في القدم،
وترتقي بنفس عرفاني...
لا يرى في الكون إلا كائناً واحداً يتنااغم كلّ ما فيه تناغماً غير
منقسم مع الحق الأسمى.....
فما الكائنات فيه إلا تجلّيات خالدة تدور في فلك الوحدة، وحدة
الكائنات، ووحدة الكون، ووحدة المكون....
وحدة تتعكس في الكون كثرة ودوائر سالحة... وتعود الكثرة
لتنطوي في نقطة نون "التكوين" محور الدائرة!

1 هذه الخاطرة للمؤلفة من مقدمة ديوانها: لوامع من بقايا الذاكرة، وفيه نصوص أدبية تترجم رؤيتها للإنسان والكون والسلام، ص 7.



الإنسان ووحدة الوجود عند ابن عربي

”إنني نظرت إلى الكون وتكوينه فرأيت الكون كله شجرة وأصل نورها من حبة ”كن“ فإذا نظرت إلى اختلاف أغصان شجرة الكون ونوع ثمارها علمت أن أصل ذلك ناشئ من حبة ”كن“ بائن عنها“¹

ابن عربي²

1 محيي الدين ابن عربي، رسالة شجرة الكون، تحقيق رياض العبد الله، دمشق، سوريا، 1985، ص 41 - 45.

2 محيي الدين أبو بكر محمد بن علي، المعروف بالشيخ الأكابر ابن عربي، ولد في مرسية بالأندلس 1165م وتوفي في دمشق 1240م، وبعد الشارح الأكبر للتصوّف وصاحب نظرية وحدة الوجود في الفلسفة الإسلامية.

إن مسألة كونية الإنسان وجوديته، وعلاقته بالكون والكائنات، تجد لها تفسيراً رائعاً عند الكثير من مفكرين وال فلاسفة القائلين بنظرية "وحدة الوجود" وإن كان لكل واحدٍ منهم أدواته ومرتكزاته الفكرية ومنطلقاته البنوية التي استند إليها، إلا أنَّ مسألة كنهه تبقى رهن "الذوق الفطري" للإنسان، وإن تراءت لنا من خلال نتاجات شريحة كبيرة من الفلاسفة وحتى الأدباء؛ ومنها كتابات أفلوطين¹ القائلة بالفيض والصدور من خلال نظريته "الدرج الكوني" الذي يفيض عن الواحد كثرة ويتهمي بالإنسان، ثم عودة هذا الإنسان في تجاوزه للكثرة الظاهرة إلى الأصل الواحد²

ويُنسب بعض المتابعين انعكاسات هذه النظرية في مفهوم وحدة الوجود عند ابن عربي الذي يُعد المحور المركزي الذي يدور عليه مذهب الشيخ الأكبر؛ يقول أبو العلا عفيفي "ان فكرة الوحدة تستولي على قلب ابن عربي فيفسر بها كل شيء في عالم الوجود"³

1 أفلوطين Plotin ولد في ليكوبوليس أسيوطاليوم في صعيد مصر عام 205. ومات بروما عام 270 بعد الميلاد. توصف فلسفة أفلوطين بأنها تأملاً ويرى أن العناصر الدينية ما هي إلا صور لشيela الحقيقي الأعظم والأسمى.

2 أفلوطين، التساعية الرابعة، في النفس، تحقيق ودراسة: فؤاد زكريا، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1970، ص 27 – 28.

3 محبي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية، مقال أبو العلا عفيفي، ص 167.

مَنْعًا لِأَيْ لَبَسٍ وَحْدَةُ الْوِجْدَوْ لَيْسَ الْحَلْوَلِيَّةُ:

كثيراً ما يلتبس مفهوم وحدة الوجود عند الناس وحتى عند بعض المثقفين الذين يترجمون "وحدة الوجود" بالصطلاح الغربي Pantheism وهو مذهب الحلولية وفي ذلك غلط كبير. ويشير الباحث ديييري أفييرينوس¹ بالقول: "كثيراً ما التبست مذاهبُ المشرق الباطنية جمِيعاً (كما وبعض مذاهب الغرب) على الباحثين الغربيين "البرانين" (وعلى "المتغربين" من أبناء الشرق أيضاً) بمذهب الحلولية Pantheism. غير أن الحلولية لا تصادف في الواقع إلا في حالة عدد من الفلاسفة الأوروبيين وبعض الشرقيين من تأثروا بالفكر الغربي في القرن التاسع عشر؛ فالحلولية نشأت عن النزعة الفكرية عينها التي تفتقت، أولاً، عن المذهب الطبيعي Naturalism، ومن بعد، عن المذهب المادي Materialism الحديث.

يقول سيد حسين نصر: أما ما أغفله النقاد من يتهمون الصوفيين بـ"الحلولية" فهو الفرق بين التوحيد الذاتي بين الوجود الظاهر ومبئته الوجودي وبين عينيهما واستمرارهما الجوهرى.

¹ ديييري أفييرينوس، الرسالة الوجودية لابن عربي، دراسة، سماوات، 30 أكتوبر 2009.

وهذا المفهوم الأخير مُحال عقلاً، ويتناقض مع كلٌّ ما قاله محبي الدين والصوفيون الآخرون في خصوص الذات الإلهية.¹

إن الحلول Pantheism معناه امتصاص المبدأ في تجلّياته بحيث يصبح لمكونٍ أسيير كائناته؛ وكأنه هي هو من كل وجه في حين أن وحدة الوجود ترجم Unity of Being² التي تختلف اختلافاً كلياً عن عقيدة الحلول، وإن وجدت بين كلا النظريتين نقاط مشتركة.

يقول نهاد خياطة: "النظريتان تتقاطعان عند اعتبارهما أن الله والعالم كينونة واحدة، وتتفارقان من حيث إن عقيدة الحلول تنفي ثنائية الحق والخلق، على حين أن وحدة الوجود التي قل بها الشيخ الأكبر تعرف بثنائية الحق والخلق وتنفيها في نفس الوقت. فهي تحافظ على الثنائية فيما تقول بالوحدة، وتحافظ على الوحدة فيما تقول بالثنائية. أي أنها ثنائية في وحدة، أو وحدة في ثنائية؛ لكنها تمنع الوحدة قيمة مطلقة والثنائية قيمة نسبية."³

1 سيد حسين نصر، ثلاثة حكماء مسلمين، ترجمة صلاح الصاوي، مراجعة ماجد فخري، دار النهار، بيروت، لبنان، 1986، ص 138.

2 بعض المعاجم والموسوعات تترجم مصطلح وحدة الوجود Pantheism وفي ذلك خطأ فيرجى التنبيه للأمر أثناء البحث والدراسة والأفضل اعتماد ترجمة وحدة الوجود: Unity of Being أو بالفرنسية Unicité de l'Être.

3 نهاد خياطة، التصوف الإسلامي بين وحدة الشهود ووحدة الوجود، دراسة، معابر، الاصدار الثالث، الرابع الثاني من عام 2001.

الإنسان بين الوحدة والثنائية والكثرة:

يقول ابن عربي بوصفه لأدم الإنسان: انه "الحضره الجامعه الشامله لجميع الاسماء الاهله (الكثرة) كما هو جامع بحقائق الأكوان كلها"¹؛ فابن عربي يميز بذلك بين الحضره التي تنتهي للغيب المطلق وبين الحضره الاهله التي تتجلى من خلال الكائنات والأسماء الكثيرة التي لا حصر لها.

" و حضره الواحديه، هي الحضره (أزلية الآزال) الأوليه المطلقه التي لا تعدد فيها (الوحله)؛ اما "الأزلية الاهله فهـي متعلـدة بـتعدد الأسماء والأسماء لا تـحصر كـثرتها"²

والحضرات عند ابن عربي خمس³ هي: حضره الغيب المطلق وعلـها عـالم الأـعيـان الثـابـتـة فيـ الحـضـرـه الـعـلـمـيـه؛ وـحضرـه الشـاهـدـه المـطـلـقـه وـعلـها عـالم الـمـلـكـ؛ وـحضرـه الـغـيـبـ المـضـافـ وـعلـها عـالم الـأـرـوـاحـ الجـبـرـوـتـيـه؛ وـحضرـه الـمـلـكـوـتـ وـعلـها عـالم الـنـفـوسـ الـجـرـدـهـ وـالـعـقـولـ؛ وـحضرـه الـإـنـسـانـ الـجـامـعـ وـهيـ الحـضـرـهـ الـجـامـعـهـ لـلـحـضـرـاتـ الـأـرـبـعـهـ.

1 محيي الدين ابن عربي، كتاب: نسخة الحق، مجموعة رسائل ابن عربي، الجزء الأول، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، دار الانتشار العربي، بيروت 2001 ص 273

2 محيي الدين ابن عربي، رسالة أسرار الذات الإلهية، مجموعة رسائل ابن عربي، المرجع السابق، ص 199-200.

3 سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1981.

أما عن مفهوم الثنائية في الحياة فيقول في حوار مفترض
بين اثنين:

"من سرائر معلوم الكونين والصورتين... صورته له وجهان...
يابني (الإنسان) انت جامع القبضتين.... وحامل الصورتين..."
- فأخبرني عن السر الذي يرد المعادن إلى معدنين..
"ان الأشياء المنفعلة اما تبعث من فاعلها على حقيقة
وجوده في الأعيان، وأُبَيَّنَ ما يكون ذلك في الإنسان"
- وعن الامر الذي يرد المعادن إلى معدنين
"الامر موقوف على معرفة الحكمة"¹

هذا الحوار يكشف ان الخبرة العرفانية المؤدية الى معرفة
الحكمة هي السبيل لفهم المتناقضات والعلاقة المتفاعلة بين
الوحدة والكثرة؛ "إن بسط العلاقة بين اللامتعيّن والمعيّن،
كما هو الحال من وقائع الخبرة العرفانية للحقيقة، يعنيُّ البنيان الكلّي
لوحدة الوجود؛ فهي مذهب خاص يقوم على رؤيا إلهية يختبرها
الصوفي بوصفها التفاعل بين الوحدة والكثرة."²

1 محبي الدين ابن عربي، كتاب شق الجيب بعلم الغيب، مجموعة رسائل ابن عربي،

تحقيق سعيد عبد الفتاح، مرجع سابق، ص: 322 – 325.

2 ديميتري أفيرينوس، حكيم المشرق والمغرب، مقدمة موجزة لدراسة حياة الشيخ الأكبر
ومذهبة، سماوات، 3 سبتمبر 2009.

لذلك فإن الشيخ الأكبر يُعلق أمر كمال الإنسان بوصفه جامعاً لحقائق الأكوان كلها من خلال روحانيته، ويقول "مقتضى الزوجية (الثنائية) إثبات الشيء باللون (بالنوع)، ومقتضى الروحية (عدم التضاد) إيجاد الشيء بالكون (بالوحدة)".¹

وان الإنسان الرائي المستنير هو ذاك القادر على ردّ القسمة والكثرة الكاثرة إلى وحدة، وان تمام المقام الإنساني اي تحقيق الإنسانية الكاملة، يكون عبر التأم المقسم المتبلور في الثنائيات "الزوجية" التي هي صفات عارضة لتحقيق الوحدة الكامنة في الجوهر؛ فـ"الزوجية في الأجناس والفردية في الجواهر"² كون جوهر الأجناس واحد وكل موجود هو تجلٌ للواحد. فـ"الروح في النور جوهر لا يتجزأ" «وهو الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجها وبثَّ منها رجالاً كثيراً ونساءً»³ "مورد القسمة (الكثرة) هي النفس الواحدة (الوحدة)" .

1 عبي الدين ابن عربي، كشف سرّ الوعد وبيان علامة الوجود، رسائل ابن عربي، شرح مبدأ الطوفان، تحقيق: قاسم محمد عباس، حسين محمد عجيل، منشورات المجمع الثقافي،

ابو ظبي، الامارات، ط 1، 1998 ص 342

2 المرجع السابق نفسه، ص 258

3 سورة النساء، الآية 1.

و"الواحد هو مُفتح العدد، ذو الوجه الباقي وكل شيء هالك الا هو؛ الواحد يُعبر على الأعداد فيهلك كل شيء دونه"¹.

و"كل موجود له عينه الثابتة في الأزل يظهر وجوده الخارجي بمقتضاه"² فالعالم ليس سوى تجلي الحق في صور الأعيان الثابتة التي يستحيل وجودها بدونه وفق رؤية الشيخ الأكبر.

يشير ديترى أفيرينوس في مقاله حول "الرسالة الوجودية عند ابن عربى": "إن الأحادية التي تغيب فيها الكثرة الكونية أو تتعلم لا تتناقض البة وفكرة عدد غير محدود من مراتب الوجود: فهاتان الحقيقتان، على العكس، وثيقتا الصلة إحداهما بالآخر. وهذا ينجلب بمجرد أن يُنظر في الكمال الإلهي "من خلال" كلٌّ منهما: إذ ذاك فإن الكامل، إنْ صَحَّ التمثيل، "يُضيق" أو "يتسع" بحسب ما يُنظر إليه إما في تعْينه المبدئي، أي الأحادية الذاتية، وإما في انعكاسه الكوني، أي طبيعة الكون

1 محيى الدين ابن عربى، المقدار في نزول الجبار، رسائل ابن عربى، المرجع السابق نفسه ص 265.

2 محيى الدين ابن عربى، فصوص الحكم، تحقيق وشرح أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، ط 2، 2002 ص: 23 - 61.

الذي لا تنصب تجلياته ولا تنفك تتبعه. يدل على ذلك قول

الشيخ الأكبر:

خالقَ الأشْيَاءِ فِي نَفْسِهِ
أَنْتَ لِمَا تَحْلَقُ هَجَامِعُ
تَحْلَقُ مَا لَا يَتَهَيِّي كَوْنِهِ فِي
كَفَانَتَ الصَّيْقُ الْوَاسِعُ^١

❖ ❖ ❖ ❖

١ ديفيوري أفييرينوس، الرسالة الوجودية لابن عربي، المرجع السابق المقال نفسه.



رهانات الأمل في تصالح المادة والروح والتأم الانشطار الوجودي

”لقد فتح العالم قلبه النورانيٌّ هذا الصباح
فاخترق قلبي، إلى لقائه بمحبتك¹“

طاغور

إن المصالحة بين العلم والثقافة والروح واجبٌ حضاري
وإنساني يضعنا أمام مسؤولية طرح رؤية جديدة منفتحة على

¹ رابندرانات طاغور، طيور شارفة، مرجع سابق، ص 38.

الوجود، تحدد علاقة الإنسان بالإنسان، وعلاقة الإنسان بالكون، وما يتم خوض عنهما من مفاهيم جديدة عن الزمان والمكان، بحيث يصبح العلم أداةً إيجابيةً تحقق مزيداً من الانسجام بين الكائنات والكون، وتصبح التقنية إستراتيجية لتحقيق كيفيات الوجود وبذل تحول من نمط إنتاجي إلى تجلٌّ وانكشاف، فيغدو الإنسان مستودعاً للطاقة الكونية، لا هوية ضيقّة له، ويصبح الانفتاح الدائم صفة ملازمة لوجوده.

في ظل هذه الرؤية، فإن إرادة السيطرة لا يكون لها معنى بتاتاً إلا في ذاتها، فتتلاشى الصراعات. كما أن إشكاليات العلم والمعرفة والحقيقة والسياسة والسلطة تتحذ معاني أخرى. ولن تعود المسألة مسألة تحديد موقع الحقيقة؛ بل إن مفهوم "الحقيقة" ذاته سينعكس في مجموع الإستراتيجيات والسيرورات التي يتم بفضلها إنتاج القيم وتحديد نظام الخطاب وسياساته.

يقودنا هذا الطرح إلى إعادة النظر في مسألة علاقة العلم بالخبرة الروحية للكائن الإنساني، وذلك لأن الروح هي المحفز للانطلاق في عالم التطور؛ فالوعي الكوني هو الذي يُمدُّ الكائن بالفكرة والحدس؛ والروح هي التي تعبّر عن واقع الحياة وانطلاقها لبلوغ ذروة الإبداع بفعل الطاقة الكامنة فيها، متجاوزةً بذلك كلًّ

انغلاق مادي، محققةً تطوراً مستمراً وحريةً لامتناهية. وأولى الخطوات في هذا الاتجاه تتجلّى من خلال رأب الصدع بين الثقافة والعلم وبين العلم والروح، لأن جوهر المظاهر المادية، ليس إلا تجلياً للروح في كلّيتها على مستوى كوكبنا الأرضي.

وهنا يتحقق وجود الإنسان من خلال مركّزتين أساسين هما: المركّز العلمي، والمركّز القيمي الأخلاقي الروحي. فإذا تمَّ للإنسان ذلك، يتخطّى أنايته ويُسخر العلم لخدمة الوجود والكون، فيتناغم مع الكلّيات، و"يرى" عن طريق العلم الوجود في كثرته، وتنوع صور تجلّياته وتفاعلاتها العلمية، كما "يرى" بالروح أن الوجود كلُّ متكامل موحد¹.

هذا التكامل بين العلم والروح هو ما يمكن لنا أن نسمّيه بـ"وحدة الكثرة"، وهي الوحيدة القائمة على التعددية والتنوع من خلال ضمّها الوحدات الأخرى وجمعها، لكن دون أن تختزلها. وفي هذا المنحى، فإن الإنسان الكوني التعددي ليس من يتقن لغات عدّة ويطلّع على ثقافات متنوعة، بل هو الكائن الذي يوحّد بين الثقافات، بحيث يتمتع بالقدرة على اكتناف التنوع ضمن كينونته الإنسانية نفسها.

¹ Dominique Terré-Fornacciari, *Les Sirènes de l'irrationnel: quand la science touche à la mystique*, Albin Michel, Paris, 1991.

إن الانطلاق من رؤية تفترض وحدة الجوهر والأصل والنسبية القائمة في جوهر المكونات الوجودية تفترض مفهوماً آخرً للتعديدية؛ لأن التعدد بهذا المفهوم ليس فصلاً في الأصل بل هو تعدد في إطار لحمة تكاملية فيصبح التعدد لا متناهي كما الأرقام كلما أضيف لها عدد تحولت إلى عدد جديد.

إنها رؤية جديدة تفتح أفقاً آخرً عبر فهم التعديدية "الكثرة" العقلة في إطار "وحدة" وجودية منفتحة من خلال الواقع، فعملية فهم الكون بوصفه عالماً كوانتاً مؤلف من ذرات وجزيئات تحكمها مستويات طاقة تؤدي للترابط بينها، ييرّ بخبرة عملية معاشرة و يجعلنا نعيد اكتشاف العلم الذي يستند على النظرية والتجارب في كينونتنا نفسها، فنعي وجودنا بمستوى إدراك مغاير يتنااغم فيه المعرفة بمستوياتها وبطبقات الواقع المتغيرة.

يقول ندرة اليازجي عن كثرة الوحدة: "تبعد هذه الحقيقة وكأنها سلسلة محكمة من المستويات المتكاملة والمتعلقة التي تبدأ من الأدنى وتنتهي في الأعلى لتنطوي على ذاتها في دائرة. ومن جانبي، لا أستطيع أن أحدد الأعلى بأكثرب من قوله: إنه لا نهاية كبرى، وكذلك، لا أستطيع أن أعرف الأدنى بأكثرب من قوله: إنه لا نهاية صغرى. وبين هاتين اللآنهايتين توجد لانهاية ثالثة هي عقلة لقاء هاتين اللآنهايتين في الإنسان. ففي الإنسان تلتقي هاتان اللآنهايتان."¹

1 ندرة اليازجي، ثقافة الحوار والتسامح، مرجع سابق ص 34.

عندئذ لا يكون الكون موضوعاً والإنسان ذاتاً، بل الواقع يشمل الذات والموضوع في آن معًا، وتنصره الذات في كونيتها ووحدة وجودها أصلًا، وعندما تتحقق كونية الإنسان الذي يتلمس سرّ الوجود ويعقل الحقائق المستترة في سرّانيته وسريرته لأنها كلُّ واحدٍ فينطوي في الكون والكون منطو به.

ويرتكز على هذا الطرح حرية لاحدود لها، كونه لا يعرف تضاداً لأنَّه تحرر من الثنائيات كلها فلا خير ولا شر ولا حق ولا باطل.... ولا وجود لمقترب تمام ودائم، ولا تناقضات تامة، بل هناك دوماً مستوى معايير ثالث يحقق عدم التناقض، وهو أمر يؤسس لنظرة جديدة تجاه أي سلوك مجتمعي وعقدي ويغير مفهوم "السلطة" التي تنتفي حكماً بحكم تعدد المراجع.

إن طرح مفهوم الإنسان الكوني عبر استلهام الحكمَة تنطلق من إعادة اكتشاف وجد الوجود من خلال ما هو موجود بمعايير المثل المتسامية، فالمكون هو محور الجذب المطلق في الكون، وما وجد في الكون الا كائنات انبثقت عنه، وإن كلَّ ما تولد من كائنات يدور في الفلك الكوني و"مكونه" و"يعبده" على طريقته الخاصة به، وبما أننا كائنات إنسانية فإن تجليات استعدادات امكانياتنا الروحية تبدو أكثر وضوحاً بالنسبة لنا؛ فالإنسان مجبول على العبادة لأنَّها مفطورة فيه،

ومن ثم فإن التعبير عنها من خلال الطقوس او المعتقدات ليس سوى تجلٍ لما يناسبه من استعدادات.

فما عبادة الأمم وشرائعها وأديانها إلا إبداع لوحٍ الكونية الذاتي، ونابع من تلقائية إدراكتها له. وبما أن المكون غير متناء، لهذا وجدت كل أمة فيه ما هو مناسب لاستعدادها الخاص.

وما تنوّع الديانات إلا تجلٍ للحقيقة الوجودية ودرجة من درجات إدراكتها في الوقت نفسه، وبناء عليه فإن الديانات لا يُنطر إليها بمعايير "المؤمنين" و"الكافر" فالكل مؤمن أصالة، ولا تقادس الامم عندها بمقاييس الشرائع، فالإقرار بالتنوع نابع من سُوّ الروح ومكون أساسي في هوية الإنسان الكوني، الذي يجعل القلب كياناً قادراً على التنوع في الصور واحتواه في الوقت نفسه.

عندما تتحول الأديان وكتبها والطبيعة وما فيها إلى تجلٍّات للمحبة، باعتبارها سر من أسرار الوجود، فهي التي تمنح لكل ذرة معناها الخاص بوصفها نسبة في نظام المطلق، وما رجوع الكائن الإنساني إلى نفسه إلا رجوعاً إلى معلم روحه المطلقة.



"لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبِي

إذا لم يكن ديني إلى دينه دان

وقد صار قلبي قابلاً كل صورة

فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وعقبة طائف

وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنني توجهتْ

ركائب فالحُب ديني وإيماني

ابن عربي

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

لتكن آخر كلماتي أني أثق بمحبتك!

طاغور

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

المصادر والمراجع

- أفلوطين، التساعية الرابعة، في النفس، تحقيق ودراسة: فؤاد زكريا، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1970.
- أنتوني دو ملو، أغنية الطائر ترجمة أديب خوري، سلسلة الحكمة 3، دار إيزيس، دمشق سوريا، ط 2000
- بسراب نيكولسكي، بيان العبرمناهجية، ترجمة: ديميتري أفيرينوس، سلسلة آفاق 2، مكتبة إيزيس، دمشق، سوريا، ط 2000
- بيار بورديو، الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بنعبد العالى، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط 2 1990.
- تساي شي تشن، لاو تسي، سلسلة الحكماء يتكلمون، دار النشر لتعليم اللغة الصينية، بكين، الصين، 2008.
- تيك نات هانه، المحبة في العمل، كتابات حول التغيير الاجتماعي اللاعنفي، ترجمة غيث جاري، تدقير أكرم أنطاكى، دار معابر، سوريا، دمشق، 2008.
- ثامر كامل محمد، الأخلاقيات السياسية للنظام العالمي الجديد ومعضلة النظام العربي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، 2008.
- جان ماري مولر، استراتيجية العمل اللاعنفي، ترجمة ماري طوق، مراجعة أنطوان طوق و وليد صليبي، حركة حقوق الناس، بيروت، لبنان، 1999.
- جان ماري مولر، قاموس اللاعنف، ترجمة محمد علي عبد الجليل، مراجعة ديميتري أفيرينوس، إصدار مشترك بين معابر للنشر في دمشق و الهيئة اللبنانية للحقوق المدنية في لبنان، 2007.

- جبران خليل جبران، رمل وزبد، الأعمال العربية الكاملة، دار ومؤسسة رسلان، جرمانا، سوريا، طبعة عام 2008.
- جبران خليل جبران، البدائع والطرائف، الأعمال العربية الكاملة، دار ومؤسسة رسلان، جرمانا، سوريا، طبعة عام 2008.
- جبران خليل جبران، النبي، تقديم جمیل جبر، دار الجیل للنشر والطباعة والتوزیع، بیروت لبنان، ط 2004.
- جودت سعید، کن کاپن آدم، دار الفکر المعاصر، دمشق، سوريا، 1997.
- جودت سعید، الدين والقانون، دار الفکر المعاصر، دمشق، سوريا، 1998.
- جودت سعید، الإنسان كلا وعدلا، دار الفکر المعاصر، دمشق، سوريا، 1993.
- جدو کریشنامورتی، التأمل، ترجمة وتقديم: دیمیتری افیرینوس، معابر للنشر، دمشق، 2008.
- دیفید مکرینولدرز، فلسفه الالاعنف، ترجمة دیمیتری افیرینوس، معابر للنشر والتوزیع، سوريا، دمشق، ط 1، 2009.
- رابندرانات طاغور، دیانة الشاعر، ترجمة موسى الخوري و غسان الخوري، دار الغربال، دمشق سوريا ط 1988.
- رابندرانات طاغور، طیور شاردة، ترجمة دیمیتری افیرینوس، سلسلة الحکمة 1، دار إینیس، دمشق، سوريا، 1998.
- علي حرب، تواطؤ الأصداء، الآلة الجدد وخراب العالم، منشورات الاختلاف، ط 1، 2008.
- علي حرب، حديث النهايات، فتوحات العولمة ومتازق الموية، المركز الثقافي العربي، بیروت، ط 1، 2000.
- سعاد الحکیم، المعجم الصوی، الحکمة في حدود الكلمة، دندرة للطباعة والنشر، بیروت، لبنان، ط 1، 1981.

- سيد حسين نصر، ثلاثة حكماء مسلمين، ترجمة صلاح الصاوي، مراجعة ماجد فخري، دار النهار، بيروت، لبنان، 1986.
- كاثرين انغرام، على خطى غاندي، ترجمة أديب الخوري ومراجعة ديميتري أفييرينوس، دار معابر للنشر، دمشق، سوريا، 2008.
- ليف تولستوي، مختارات من كتاباته الفكرية والفلسفية، ترجمة هفال يوسف، معابر للنشر، دمشق 2009.
- محمد أركون: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، نحو تاريخ آخر لل الفكر الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى، بيروت، لبنان، 1999.
- المهاتم. ك. غاندي، كتابات وأقوال، ترجمة: أكرم إنطاكى، تدقيق: هفال يوسف، معابر للنشر، دمشق، سوريا، 2009.
- المهاتم. ك. غاندي: سيرة ذاتية، قصة تجاري مع الحقيقة، ترجمة منير بعلبكي، دار العلم للملائين، بيروت، لبنان 1973.
- ميخائيل نعيمة، كتاب مرداد منارة وميناء، ط 9، دار نوفل، بيروت لبنان 2001
- هنري برونل، أجمل حكايات الزن، ترجمة محمد الدنني، مراجعة: محمود رزوقى، سلسلة إبداعات عالمية، العدد 353، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل، 2005.
- محى الدين ابن عربى، رسائل ابن عربى، 3 أجزاء، تحقيق، سعيد عبد الفتاح، دار الانتشار العربى، بيروت، لبنان، 2001.
- محى الدين ابن عربى، رسائل ابن عربى، شرح مبدأ الطوفان، تحقيق: قاسم محمد عباس، حسين محمد عجیل، منشورات الجمّع الثقافى، ابو ظبى، ط 1، 1998.
- محى الدين ابن عربى، فصوص الحكم، تحقيق وشرح أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربى، ط 2، 2002.

- محبي الدين ابن عربي، *الفتوحات المكية*، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999. 9 أجزاء،
- محبي الدين ابن عربي، *رسالة شجرة الكون، تحقيق رياض العبد الله*، دمشق 1985.
- ندرة اليازجي، *ثقافة الحوار والتسامح، مطبعة اليازجي*، دمشق، سوريا 2008.
- ندرة اليازجي، *فلسفة الإنسان الثائر*، دار الغربال، دمشق، سوريا 2002.
- ندرة اليازجي، *العقل من منظور العلم والحكمة*، مطبعة اليازجي، دمشق، 2009.
- ندرة اليازجي، *العنف واللاعنف في الطبيعة والإنسان*، مطبعة اليازجي، دمشق، سوريا، 2008.
- نصر حامد أبو زيد، *النص والسلطة والحقيقة*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006.

- **Basarab Nicolescu**, La transdisciplinarité (manifeste), Éditions du Rocher, Monaco, 1996
- **Edward De Bono**, Conflicts, Aitken & Stone Ltd, London UK 1997.
- **Dominique Terré-Fornacciari**, Les Sirènes de l'irrationnel: quand la science touche à la mystique, Albin Michel, Paris, 1991.
- **G. Burdeau**; Méthode de la Science politique, Paris; Dalloz 1959.
- **Isabelle Stengers**, La guerre des sciences aura-t-elle lieu?, Les empêcheurs de penser en rond, Paris, 2001.
- **Jean-Marie MULLER**: Dictionnaire de la non-violence- les Edition du Relié ; France ; 2005.

- **L. freedman & E. Karsh**, the gulf Conflict 1990 – 1991 – London: Faber & Faber, 1993.
- **LAO ZI says**, Sinolingua, Beijin , China , 2008.
- **Osho** , Creativity: Unleashing the Forces Within , Insights for a New Way of Living, Osho international foundation, NY , USA, 1999
- **Pierre Bourdieu**: Langage et pouvoir symbolique: Coll. Points, éd. Le Seuil 1982
- **Martin Luther King**: La seule revolution – Casterman – 1968
- **Michel Foucault** ; les mots et les choses ; Gallimard ,1966
- **Nietzsche**, Humain, trop humain, T1, trd. R.Rovini. Idées Gallimard, 1968.
- **Nietzsche** :Généologie de la morale ; Trd. Henri Albert idée, Gallimard, 1964.

تقارير ومحاضرات ومقالات:

- أولفييه فيال، كلنا منشدون، مجلة خيارات لاعنفية، العدد 34، توز 1979.
- البيان الصادر عن اجتماع رؤساء الكنائس المسيحية الاوروبية، الذي عقد في برلين بدعوة من مجلس الكنائس العالمي والمجلس الوطني للكنائس المسيح في اميركا إبان الحرب على العراق، 5 شباط فبراير 2003.
- جودت سعيد، دور الفاعلين الدينين في بناء السلم والديمقراطية، محاضرة ألقتها خلال المؤتمر (الاسلام، المسيحية و أوروبا) في بلجيكا 2 ديسمبر 2009 -

- الاعلان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 10 نوفمبر 1998 حيث اعتبرت الفترة الممتدة من 2001 وحتى 2010 عقداً دولياً لاعلاء ثقافة السلام.

- جان ماري مولر، *اللاعنف: المبادئ الفلسفية، واستراتيجية العمل اللاعنفي*، أوراق بحثية ألقاها خلال محاضراته في ورشة عمل المنعقدة تحت عنوان: *اللاعنف الثقافة والتربية*، مرمريتا 20 و 22 حزيران يونيو 2008.

- ديميتري أفيرينوس، *غاندي بين القداسة والسياسة*، في محاضرة ألقاها خلال ورشة عمل حول: *اللاعنف وضبط النفس المنعقدة في مرمريتا*، سوريا 10 و 12 تموز يوليو 2009.

- ميشيل دوبريه، *هؤلاء الأمراء الذين يحكموننا*، عن المقال المنشور في دفاتر المصلحة، أيار 1971.

- نهاد خيطة، *التصوف الإسلامي بين وحلة الشهود ووحلة الوجود* مدخل إلى فكر محب الدين بن عربي، دراسة، معابر، الاصدار الثالث، الرابع الثاني من عام 2001

- **John Van Ordeñaren**, Unipolar Versus Unilateral, Policy Review, No. 124, April 2004
- **Challenge to the South**, Report of the South Commission , Oxford 1990
- **Fritjof Capra**, National Insecurity, New Age Journal, March/April, 1988

- **Jawdat Said Mohamed**, The role of religious actors in peace-building, Islam , Christianity & Europe - 2nd series of seminars - 2009-2010

موقع الكترونية:

- موقع معابر <http://maaber-new.com>
- موقع سماوات - ديفيري أفييرينوس <http://samawat.org>
- موقع المفكر جودت سعيد <http://www.jawdatsaid.net>
- موسوعة ويكيبيديا www.wikipedia.com

كارикاتير وصور:

معظم الصور الواردة منشورة على شبكة الانترنت، بعضها معلومة المصدر وأخرى لم يتسعى لنا معرفة رساميها الحقيقيين، وانا نورد هنا أسماء بعضهم وبعض الواقع الالكتروني المأخوذة عنها.

- ستافرو جبرة [Stavro jabra](#)
- موريس هنري [Mourice henry](#)
- رائد خليل [Raed khalil](#)
- عماد حاجج [Imad hajjaj](#)

ـ جيهان محمود Jihan mahmoud

ـ أمية جحا Omayya jiha

ـ فيدو رو Vido Ru

ـ عامر الزعبي Amer zoebi

- www.cartoonstoks.com
- www.cristoon.com
- www.stavrotoons.com
- www.santygutierrez.com
- www.mahjoob.com
- www.caglecartoons.con/espanol
- www.aljazeera.net
- www.arabcartoon.net
- www.bhnation.net
- www.alriyadh.com



فهرس

5	إهداء
7	كلمة
11	شكر وعرفان

مسألة العنف

13.....	بين عنف الخطاب و إكراهات الواقع
15.....	العنف الرمزي و الهيمنة
22.....	تاريخ من نار و فحش حضاري!
26.....	ذاكرة العنف بين السيرورة التاريخية و الذات الحضارية

الحقيقة وتجليات العنف

31.....	قراءة في مفهوم الحقيقة و هواجس السلطة
33.....	الحقيقة من منظور اللاعنف
41.....	المفاعيل اللاعنفية لتعديدية الحقيقة ونسبة المعايير
45.....	اللاعنف وإدارة الهيمنة
49.....	تفكيك مفهوم السلطة وتاريخ الحقيقة

إمبراطوريات العنف

61.....	صناعة الحروب باسم "السلام"
63.....	العلاقات الدولية دبلوماسية رشد أم إستراتيجية خراب
67.....	النظام العالمي الجديد بين إرادة الهيمنة وإدارة العنف
71.....	عوده الأمبراطوريات قطبية السياسة الدولية وصناعة الحروب
75.....	أسلحة الدمار وخرافة الأمن
83.....	الأمن المشترك والأمن العالمي
87.....	حق النقض "الفيتو" و إجهاض السلام

ثالوث العنف

95.....	مَصْنَعُ الْأَزْمَاتِ: الدُّولَةُ، الْاِقْتَصَادُ، الْإِعْلَامُ
97.....	الدُّولَةُ وَالْعُنْفُ
102.....	مَفْهُومُ "السُّلْطَةِ" وَعَمَلِيَّةِ إِدَارَةِ الْعُنْفِ
107.....	الْاِقْتَصَادُ وَالْعُنْفُ (مَافِيَا الْاِقْتَصَادِ الْمَعْوَلِمِ)
110.....	عُولَمَةُ الْأَنَانِيَّةِ وَمَافِيَا الْإِرْهَابِ
115.....	عُنْفُ السِّيَاسَةِ وَالْاِقْتَصَادِ: مَشَهُدُ درَامَاتِيَّكِيٍّ!
120.....	الْاِعْلَامُ وَالْعُنْفُ مَتَارِيسُ الْفَضَائِيَّاتِ فِي عَصْرِ الصُّورَةِ
125.....	شَاشَةُ الْقَمَامَةِ تَسْوُقُ ثَقَافَةَ الْعُنْفِ
130.....	اللَّاعِنُفُ خِيَارُ الْإِنْسَانِ الْوَاعِي
132.....	نَحْوُ عُولَةِ بَدِيلَةِ عُولَةِ مَمْلَكَةِ الْإِنْسَانِ، عُولَةِ السَّلَامِ
134.....	أَنْسَنَةُ السِّيَاسَةِ:
136.....	أَنْسَنَةُ الْاِقْتَصَادِ:
138.....	أَنْسَنَةُ الْاِعْلَامِ
139.....	أَنْسَنَةُ التَّرْبِيَّةِ
139.....	أَنْسَنَةُ الْعَقَائِدِ:
141.....	الْعُولَةُ الْإِيجَابِيَّةُ وَالنَّضَالُ الْلَّاعِنِيِّ:

على خطى السَّلَامِ

147.....	مِنْ نَهَادِجِ النَّضَالِ الرَّوْحِيِّ الْلَّاعِنِيِّ
149.....	مَفْهُومُ الْلَّاعِنُفُ فِي فَكِّ الْمَهَاتِمَا غَانِدِي
155.....	الْمَنْطَقَاتُ الْأَخْلَاقِيَّةُ وَ"الْمِيَتُولُوْجِيَّةُ" لِمَفْهُومِ الْلَّاعِنُفِ عِنْدَ غَانِدِي
157.....	أُولَا: مَفْهُومُ الْحَقِيقَةِ سَاتِيَاغَرَاهَا: satyāgraḥa
159.....	ثَانِيَا: مَفْهُومُ الْأَلَازِيِّ أَوَالْلَاعِنُفُ: آهِيمِسُ āhimsā
161.....	ثَالِثَا: مَفْهُومُ الْلَّاتِمَلَكُ أَبِارِيَغَرَاها:
163.....	الْمَرْكِزَاتُ الْعَمَلِيَّةُ لِلْلَّاعِنُفِ عِنْدَ غَانِدِي (الْعَصِيَانُ الْمَدْنِيُّ - الْلَّاتِعَوْنُ)
166.....	الْعَصِيَانُ الْمَدْنِيُّ بَيْنَ الْعَدْلَةِ وَالْقَانُونِ
170.....	الْعَصِيَانُ الْمَدْنِيُّ بَيْنَ دِيمُوقْرَاطِيَّةِ التَّمْثِيلِ وَ دِيمُوقْرَاطِيَّةِ الْمَشَارِكَةِ
173.....	مَسَارَاتُ السَّلَامِ وَارَادَةُ الْعَدْلَةِ

176.....	مفهوم اللاعنف في فكر جودت سعيد
177.....	مشكلة العنف: قلة وعي وأفكار عرجاء
182.....	المنظفات الفكرية و"الميتولوجية" لنظرية اللاعنف عند جودت سعيد
189.....	الرتکرات العقدية لللاعنف عند جودت سعيد
193.....	الديمقراطية واللاعنف عند جودت سعيد
193.....	إعلان موت الحرب

استراتيجيات الأمل

199.....	النَّاَمُ المَادَّةُ مَعَ الرُّوْحِ فِي إِطَّارِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ.....
201.....	مَعْبَرُ نَحْوِ السَّلَامِ.....
206.....	الْحَصَادُ الْمَرْ ماَذَا بَعْدَ تَرَاجُّ الْقِيمِ الْإِنْسَانِيَّةِ؟.....
213.....	الْعُقُولُ الْمُفَخَّحَةُ التَّفْكِيرُ الْمُنْفَعُلُ وَحَالَةُ الْاِبْدَاعِ.....
218.....	نَحْوُ انْقَلَابٍ "فَكْرِيٍّ"! تَفْكِيكُ مَمْلَكَةِ الْاِرْهَابِ فِي الْفَكْرِ الْإِنْسَانِيِّ.....
219.....	مَنْطَقَ عَنِيفٍ عَاجِزٍ!.....
221.....	مَرَأَةُ "الْمَنْطَقِ" فِي الْمَجَمِعِ وَالْمَسْلَطَةِ:.....
223.....	انْقَلَابُ اِنْطَلُوْجِيِّي عُودَةُ لِلرُّوْحِ مِنْ جَدِيدٍ!.....
229.....	مَعَ الرُّوْحِ:.....
230.....	خَاطِرَة: فَلَكَ النُّون.....
231.....	كُوْنِيَّةُ الْإِنْسَانِ وَوَحْدَةُ الْوُجُودِ تَعْدِيَّةُ الْوَاحِدِ وَوَحْدَةُ الْكَثْرَةِ.....
237.....	الْإِنْسَانُ وَوَحْدَةُ الْوُجُودِ عِنْدَ اِبْنِ عَرَبِيِّ:.....
239.....	مَنْعَأُ لَأَيِّ لَبَسٍ، وَحْدَةُ الْوُجُودِ لَيْسَ الْحَلْوَيَّةُ:.....
241.....	الْإِنْسَانُ بَيْنَ الْوَحْدَةِ وَالثَّانِيَّةِ وَالْكَثْرَةِ:.....
246.....	رَهَانَاتُ الْأَمْلِ فِي تَصَالُحِ الْمَادَّةِ وَالرُّوْحِ وَالنَّاَمِ الْاِنْشَطَارِ الْوَجْدَوِيِّ.....
253.....	الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ.....



مروة كريديه

تعد الكاتبة مروة كريديه واحدة من المهتمات بالقضايا الإنسانية واللاعنف، حيث تطرح العلاقات الاجتماعية والسياسية من خلال رؤية وجودية تتجاوز الانقسامات الاثنية والدينية والجغرافية، وقد عملت في ميادين فكرية متنوعة، ولها العديد من الاعمال الادبية و الفنية التشكيلية والخواطر الشعرية والابحاث الميدانية في علم الاجتماع السياسي. شاركت في أعمال حوار الاديان واللاهوت المقارن، كما نشطت في ميدان الاعلام الثقافي.

من أبحاثها:

- الخطاب الإيديولوجي والسياسي عند حركات الإسلام النضال.
- حوار الحضارات بين العقلية الدوغمائية والعقلية التوأصلية.
- الاستشراق والجغرافية العربية.
- سلطة الإيديولوجية في السياسة اللبنانية.
- التعديدية الثقافية بين مستويات الواقع والوحدة الوجودية.
- حوار الحضارات وعملية فهم التاريخ.

- الهوية وtopic التمسك بالجذور.
- المواطنية في مجتمع متعدد.
- الأنا والآخر، مناقشة طرح فلسفية لمفهوم الذات و الغير.
- أصيل ودخيل: مقاربة نقدية لمفهوم الأصالة و المعاصرة و أطروحات ما بعد العولمة.
- اللاهوت السياسي في الشرق الأوسط، مقاربة نقدية لعلاقة الدين بالسياسي.
- كلمة إنسانية في حضرة كونية، مبحث فلسفية حول وحدة الوجود.

من اصداراتها:

- لوامع من بقايا الذاكرة، ديوان شعرى، 2010.
- فكر على ورق، في الفكر والنقد، 2009.
- مدائن الغربة، في الفنون التشكيلية، 2009.
- أفكار متمردة، في الفكر والثقافة والسياسة، 2008
- معابر الروح، ديوان شعرى، 2008



لها مدونات عدة على شبكة الانترنت منها:

<http://marwa-kreidieh.maktoobblog.com>

<http://marwakreidieh.unblog.fr/>

البريد الالكتروني:

Marwa_kreidieh@yahoo.fr

استراتيجيات الأمل في عصر العنف

مزورة كريدية

أدى اختلال التوازن بين الروح والمادة إلى نشوء علاقات مصلحية حولت عالمنا إلى مملكة للإرها布 تحكم فيه فعل "المادة" و"الأنما" الفردية و"الجمعية" المنفعلة برغباتها.

هذا الكتاب ينتقد ثالوث العنف وديمومة ماضيه الأليم المتمثل بالسياسة المسببة للحروب المدمرة وأنانية الاقتصاد المعمول وممارسات الإعلام الدعائى المضل...

ويطرح رؤية لاعنفية تستند إلى أصالة التسامي اللامحدود لوعي الإنسان المتمثل بالإبداع والمحبة الكامن في صمت الضمير الأسمى حيث الكلمة الصادقة النابعة من معين الفهم الذي يُعرفنا إلى أي حد ترتبط به حقيقة وجودنا بحقيقة كل الوجود.



سورية - دمشق - ص.ب، 2322
هاتف: +963 11 56399560
فاكس: +963 11 5630559
جوال: +963 944894386



الدراسات والنشر والتوزيع